المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

طيبة الطيبة

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين

طيبة الطيبة

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمدرس بالحرمين الشريفين

ⓒ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السند ، عبدالرحمن بن عبدالله
طيبة الطيبة. / عبدالرحمن بن عبدالله السند . - الرياض، ١٤٤٠ هـ
١٢٨ ؛ ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ١-٦٩-٦٨٥-٩٦٦٠

١- فضائل المدينة المنورة ٢- البقيع (مقابر) أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي ٩٥٢,١٢٢ ١٤٤٠/٩٧٩٩

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٩٧٩٩
ردمك ١-٦٩-٦٨٥-٩٦٦٠

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله، وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فمن فضل الله ﷻ وتوالي نعمه أن نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في وقت وجيز للغاية، وقد رغب القائمون على طباعته إعادة طبعه مرة أخرى.

وقد استجبتُ لطلبهم بعد أن أجريت عليه بعض التعديل من حذف وإضافة، وإصلاح للتطبيعات، وزيادة تعليق على بعض المسائل؛ بما لا يخرج الكتاب عن مضمونه الأساس[1].

وإنَّ مما يحسن عَرْضه فيستوجب شكره ما يجده زائر المدينة المنورة من اهتمام بالغ من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - يحفظه الله -، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي محمد بن سلمان بن عبد العزيز - وفقه الله - بالمدينة المنورة بشكل عام، والمسجد النَّبوي الشريف بشكل خاص، وأعلى هذا الاهتمام وأوفاه: تجريد التوحيد لربِّ العبيد، ونشر الأمن والأمان والاطمئنان في ربوع

(١) فهو رسالة موجَّهة لزائر المدينة المنورة من عامَّة المسلمين من أقطار المعمورة، والتي تتشرف هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - بخدمتهم من حين مَقدمِهم وإلى مَغادرتهم، فالكتاب له هدف وغاية بأسلوبه وفكرته ومادته العلمية.

مدينة الأمن والإيمان؛ مما يستجمع قلوب الموحدين للتفرغ للعبادة في مسجد رسول الله ﷺ.

أسأل الله العظيم الكريم أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز بحفظه، وأن يكلأه برعايته، وأن يجري الخير على يديه، وأن يحفظ به البلاد والعباد، وأن يشدَّ عضده بولي عهده الأمين، وأن يوفقهما لكل خير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد الله السند

مقدمة

إن الحمد لله نحمه ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه؛ صلَّى الله عليه، وعلى آله الطَّيبين، وأَزواجه الطَّاهرات أُمَّهات المؤمنين، وصحابته الغُرِّ الميَامين، ومَن سار على نهجهم، واتَّبع خُطَاهم إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

فإن الله تعالى فاضل بين الأشخاص والأزمان والأماكن والمعالم. وهذا التخصيص والاصطفاء شأنٌ إلهي يختصُّ به سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبيَاء: ٢٣].

ومما استأثر الله ﷻ من البلدان وفضلها على غيرها: طيبة الطيبة، فكانت مُهاجَر نبيه ﷺ، ومقامه في حياته، ومدفنه بعد مماته، وفيها مسجده الشريف، ثاني الحرمين الشريفين، صلاة فيه بألف صلاة مما سواه؛ إلا المسجد الحرام.

هي طيبة الطَّيبة، وطابة المباركة، والدِّرع الحصينة، ودار الهجرة وأرضها، ودار الإيمان، ودار السنة، ودار السلامة، وقبَّة الإسلام[1].

---

(١) أخرج الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ، وَأَرْضُ الْهِجْرَةِ، وَمُبَوَّأُ الْحَلَالِ وَالْحَرَام»، وهو حديث لا يصح. =

كان ﷺ يحبُّها حبًّا شديدًا فكان إذا قدم من سفرٍ فأبصر جُدرانها أسرع بناقته مِن حُبِّه لها، وشوقه للرجوع إليها[١].

وفي فجاجها وطرقاتها تنقَّل الحبيب ﷺ فسار على قدميه، وركب ناقته تارة، ودابته تارة، فيذهب ويجيء، ويزور أصحابه..

وكان ﷺ يذهب كلَّ يوم سبت ماشيًا أو راكبًا إلى مسجد قباء فيصلي ركعتين فيه[٢].

ويقول عن جبلها العظيم أُحُد: «**جَبَلُ أُحُدٍ يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ**»[٣].

قَدِمَ ﷺ إليها من مكَّة مهاجرًا خِفيةً من المشركين، وهاجر قبله وبعده أصحابه الأطهار، فأعزَّهم الله فيها.

آواه أهلها ونصروه، وجاهدوا معه وبعده بأموالهم وأنفسهم، فرضي الله عنهم وعن المهاجرين.

= وقد لقبت عددٌ من المدن باسم: «قبة الإسلام»، مثل: البصرة، والكوفة، ومصر. ينظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص٢٠١)، «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (١/ ١٩٣)، «معجم البلدان» (٤/ ٤٩٢)، «الروض المعطار» (ص١٠٥).

(١) أخرج البخاري (١٨٠٢) عن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، فأبصر جُدران المدينة، أوضع ناقته (أي أسرع)، وإن كانت دابَّةً حرَّكها من حبِّها»

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥). قال ابن حجر ﷺ: «أُحُد من جبال الجنة، كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعًا: «**جَبَلُ أُحُدٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وَهُوَ مِنْ جِبَالِ الجَنَّةِ**». أخرجه أحمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه؛ كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل، فقال لما اضطرب: «**اسْكُنْ أُحُد**» الحديث. وقال السهيلي: كان ﷺ يُحبُّ الفأل الحسن، والاسم الحسن، ولا اسمَ أحسنَ مِن اسم مُشْتقٌّ من الأَحَدِيَّة، قال: ومعَ كونه مُشتقًّا من الأَحَدية، فحركاتُ حروفه: الرَّفْع، وذلك يشعر بارتفاع دِين الأَحَد وعُلُّوه، فتعلق الحبُّ من النبي ﷺ به لفظًا ومعنى، فخُصَّ من بين الجبال». «فتح الباري» (٧/ ٣٧٨).

سماهم الله الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ومدحهم الله ﷻ؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

تبوأوا دار الهجرة والإيمان، حتى صارت مرجعًا لأهل الإيمان، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماها المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشرٍّ، فلم يزل أنصار الدِّين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي، وهم مع ذلك يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش، حتى إنَّ من كان عنده امرأتانِ كان يطلِّق إحداهما ويزوجها واحدًا منهم، ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر: ٩] أي: حاجةٌ وخَلَّة.

سَمَّاهُمُ اللهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِمِ ... دِيْنَ الهُدَى وَعَوَانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وجَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوْا ... لِلنَّائِبَاتِ فَمَا خَامُوْا وما ضَجِرُوْا[1]

ومدحهم الرسول ﷺ في أكثر من موضع فقال: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[2].

ودعاء لهم، ولأبنائهم، ولأبناء أبنائهم، فقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ**»[3].

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٩٩)، والعوان: الثَّيب، ومنه قيل: حرب عوان؛ أي قد قوتل فيها مرة. واعترفوا للنائبات: أي صبروا لها، وخام عن القتال: جبن عنه .**ينظر**: «المخصَّص» (١/ ٣٥٥)، «الصحاح» (٥/ ١٩١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٠٦)، ومسلم (٢٥٠٦)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

هي مدينةٌ اختصَّ الله ملائكتَهَ لتقوم على حراستها فما من نَقْب من نِقَابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها[١]، وإليها يأرز الإيمان[٢].

وهي دار الخلافة الراشدة للخلفاء الثلاثة من بعده ﷺ، وفيها عاش جلُّ أصحابه وزوجاته الطَّاهرات، وكثير من أهل بيته ﷺ، وفيها دفنوا.

فيا أيها الزائر لهذه المدينة المحرَّمة العظيمة:

هنيئًا لك هذا المقدم الميمون إلى مدينة رسول الله ﷺ، وسأحدِّثك في هذا الكتاب عن:

* هجرته ﷺ من مكة للمدينة، ثم وفاته فيها.
* وعن أسماء المدينة.
* وعن فضائلها.
* وعن حرمتها، وحدود حرمها.
* وعن مشروعية شد الرحال إلى المسجد النبوي.
* وعن الأماكن التي يشرع لزائرها الذهاب إليها.
* وعن الأماكن التي لا يشرع التعبد لله بزيارتها.
* وعن تأريخ عمارة المسجد النبوي، وتوسعاته.
* وعن عناية المملكة العربية السعودية بالمسجد النبوي.
* ثم سأختم ذلك بوصايا جامعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٦) ومسلم (١٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جعلني الله وإيَّاك ممن يعظِّم هذه المدينة حقَّ تعظيمها، وأن يبارك لك في زيارتك لها.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد.

من مكَّة إلى المدينة

ولد سيد الخلق محمد ﷺ في مكة المكرمة عام الفيل، فعاش فيها بواكير عمره إلى تمام شبابه. يتنقل بين شعابها وجبالها، ومجاورًا لأهلها في مساكنهم، يحبونه، ويرفعون من شأنه، أسموه الأمين والصادق، وقدَّموه في مواطن كثيرة حفظها التأريخ(١).

كان وقته ﷺ وقت جاهلية جَهْلا، عَبدُوا الحَجر والشَّجر من دون الله، واستغاثوا بها، وادَّعوا أنها تقربهم إلى الله زلفى!

إلا أنه كانت عند العرب بقايا من الحنيفيَّة التي ورثوها عن دين إبراهيم عليه السلام، فكانوا - مع ما هم عليه من الشِّرك - يتمسَّكون

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما - في قصَّة جهر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله على جبل الصفا - أنه قال: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. أخرجه البخاري (٤٧٧٠).

وأخرج البخاري أيضًا (٣٦٣٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قصَّة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف، وفيها: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدَّث، فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي، قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد.

وأخرج البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) في قصة أبي سفيان قبل إسلامه عند هرقل، وقد سأله هرقل فقال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا.

وعندما اختصمت قريش في من يضع الحجر الأسود بعد تجديد بناء الكعبة، قالوا: اجعلوا بينكم حَكَمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفَجِّ، فجاء النبي ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين. أخرجه أحمد (١٥٥٠٤).

بأمورٍ صحيحة توارثها الأبناء عن الآباء، وكان بعضهم أكثر تمسكًا بها من بعض.

وكان من أولئك طائفة في مكة تعاف ما كان عليه أهلها من الشرك وعبادة الأوثان، وأكل الميتة، ووأد البنات، ونحو ذلك من العادات التي لم يأت بها شرع حنيف، وكان من تلك الطائفة رسولنا ﷺ قبل بعثته.

وكان إلى ذلك: محبًا لمساعدة الضعيف، ونصرة المظلوم، وإكرام الضيف، وصِلَة الرحم[١]، وكان ﷺ يعتزل النَّاس في غار حراء للتعبد والتَّحنث، فحبب إليه الخلاء بنفسه.

كان ﷺ يقيم في غار حراء الأيام والليالي ذوات العدد[٢]، وكان أكثر ما يقيم فيه خلال شهر رمضان المبارك[٣]؛ يترك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وينصرف عنها، ويخلو بنفسه في ذلك الغار داخل جبل النور الشاهق المشرف على مكة المكرمة[٤].

---

(١) قالت له خديجة رضي الله عنها: «فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». أخرجه البخاري (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي برسول الله ﷺ: «وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها». أخرجه البخاري (٣)، قال ابن حجر رحمه الله: «قوله «فيتحنث» هي بمعنى: يَتحنَّف، أي: يَتَّبع الحنيفية، وهي دين إبراهيم، والفاء تُبدل ثاء في كثير من كلامهم». «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٣) ينظر: «البداية والنهاية» (٤/ ١٢)، «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: «وحِراء: يُقصر ويُمدُّ، ويُصرف ويُمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاث أميال منها، عن يسار المارِّ إلى منى، له قُلَّة مشرفة على الكعبة مُنحنية، والغار في تلك الحَنية». «البداية والنهاية» (٤/ ١٢).
=

يتعبد لله ﷻ، ويتفكر في ملكوت السموات والأرض، مبتعدًا عمَّا كان عليه قومه من الشرك وعبادة الأصنام.

فأتاه جبريل عليه السلام بالوحي من ربِّه ﷻ في شهر رمضان، فقرأ عليه قوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العَلق: ١-٥].

فكان ذلك بدأ رسالة الله الخاتمة للبشر، الداعية إلى توحيده ﷻ.

فقام يدعو إلى توحيد الله ﷻ، فلا يَشْرَكُه في تدبير ملكوت السموات والأرض أحد، وهو المستحق وحده للعبادة؛ فلا تصرف إلا له: لا يعبد إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يستعان إلا به، ولا يخاف إلا منه ﷻ..

وهو الواحد الأحد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

واحدٌ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

واستمرت دعوته في مكة ثلاثة عشر عامًا، أسلم معه قليل من أهل مكَّة، وعاند أكثرهم، فلما ضاقت عليه وعلى أصحابه الحال، أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة؛ لينظروا لعلها تكون مقامًا خيرًا من مقاهم في مكَّة[1].

وتعمُّد بعض الناس الصعود إلى الغار على وجه التعبد ليس من دين الله في شيء، وقد يقع مِمَّن يصعد إليه بعض الأفعال التي لا تجوز؛ كتخصيصه بصلاة ركعتين، أو التوجه إليه في الدعاء، أو غيرها من صور تعظيم هذا المكان، ولم يعلم أنَّ الرسول ﷺ صعد إليه بعد البعثة على وجه التعبد، ولا أصحابه الكرام. أمَّا إن كان صعوده لأجل الاطلاع والمعرفة فلا شيء عليه ما لم يخشَ الضرر على نفسه، أو أن يلحقه بغيره.

(١) **ينظر**: «البداية والنهاية» (٤/ ١٦٦)، «فتح الباري» (٧/ ١٨٨).

ثم رأى ﷺ في منامه - ورؤيا الأنبياء في المنام وحيٌ[١] - أنَّه ينتقل إلى دار فيها نخل، كما حدثت بذلك أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النَّبيُّ ﷺ للمسلمين: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**»، فهاجر مَن هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامَّة مَن كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة[٢].

وكان أول من هاجر من صحابته للمدينة مصعب بن عمير، وابن أمِّ مكتوم رضي الله عنهما.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه:

«أول من قدم علينا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ مصعب بن عمير، وابن

أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء: عَمَّار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثمَّ جاء النَّبيُّ ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصِّبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء»[٣].

واستمع لأمِّ المؤمنين عائشة الطَّاهرة رضي الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ، وهي تصف هجرة نبيِّنا محمد ﷺ:

قالت رضي الله عنها:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٣٢)، الحاكم (٣٦١٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٠٣) وابن أبي عاصم في «السنة» عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسنده حسن، وأخرجه البخاري (١٣٨) عن عبيد بن عمير .**وينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٩٨)، «طرح التثريب» (٢/ ٥٨-٤/ ١٨٠)، «فتح الباري» (١/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤١).

«وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة[١]، فقال له رسول الله ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّيْ أَرْجُوْ أَنْ يُؤْذَنَ لِيْ**».

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟

قال: «**نَعَمْ**».

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه.

وعلَّف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر[٢] أربعة أشهر.

فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نَحْر الظَّهيرة[٣]، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتقنعًا[٤]، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل.

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**».

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله.

قال: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِيْ فِيْ الخُرُوْجِ**».

فقال أبو بكر: الصَّحابةَ بأبي أنت يا رسول الله[٥]؟

---

(١) **أي**: للهجرة إليها .**ينظر**: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٤)

(٢) وَرَق السَّمُر – بفتح السِّين، وضمِّ الميم – ورق الطَّلح .**ينظر**: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥).

(٣) نحر الظهيرة: أوَّله .**ينظر**: «الفائق في غريب الحديث» (٥/ ٢٧).

(٤) التَّقنُّع: تغطية الرأس وأكثر الوجه برداءٍ أو غيره .**ينظر**: «جمهرة اللغة» (٢/ ٩٤٢).

(٥) **أي**: أريد المصاحبة.

قال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ**».

قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين.

قال رسول الله ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز[١]، وصنعنا لهما سُفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فَم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور، فَكَمِنَا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثَقِف لَقِن[٢]، فيدلج من عندهما بِسَحَر، فيصبح مع قريش بمكة كَبَائِتٍ[٣]، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وَعَاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامرُ بن فهيرة، مولى أبي بكر مِنْحَةً مِنْ غنم[٤]، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء، فيبيتان في رِسْل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بِغَلَس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي، هَاديًا خِرِّيتًا - والخِرِّيت: الماهر بالهداية - قد غمس

---

(١) أحثَّه: أعجله. «هدى الساري» (ص١٠٢)

(٢) لقن: حاذق سريع الفهم .**ينظر**: «الفائق في غريب الحديث» (٣/ ٣٢٥)

(٣) كبائت، **أي**: يصبح مع أهل مكة وكأنه بات في داره .**ينظر**: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٧)

(٤) منحة من غنم، **أي**: غَنَمًا فِيهَا لبن يمنح. «مشارق الأنوار» (٢/ ٦٣)

حِلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمِناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صبح ثلاث[١].

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يخرجون كل غداة إلى الحَرَّة، فينتظرونه حتى يردهم حَرُّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أُطُم[٢] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ[٣] يزول بهم السراب[٤]، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتظرون[٥]، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحَرَّة، فعدَل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يُحييِّ أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).
(٢) أُطُم - بضمتين -: حصونٌ لأهل المدينة. «الصحاح» (٥/ ١٨٦٢).
(٣) مبيضين، أي: عليهم الثياب البيض. «فتح الباري» (٧/ ٢٤٣)
(٤) يَزُول بهم السَّراب، أَي: تَظهر حركتهم فِيه. «تفسير غريب ما في الصحيحين» (ص٣١٢).
(٥) جدكم الذي تنتظرون، أي: صاحبُ جَدِّكم وسلطانكم، وَقد يحتَمل أَن يُرِيد: سَعدَكم ودولتكم. «مشارق الأنوار» (١/ ٣٠٩).

وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء، وصلَّى فيه رسول الله ﷺ.

ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلِّي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مِربدًا للتَّمر[١]، لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة.

فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «**هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ المَنْزِلَ**».

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمِربَد ليتخذه مسجدًا.

فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله.

فأبى رسول الله أن يقبله منهما هِبة حتى ابتاعه منهما.

ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه ويقول كما يقولون:

«**هَذَا الحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ**».

ويقول:

«**اللَّهُمَّ إنَّ الأَجْرَ أَجْرَ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ**»[٢]

ثم لما أتمَّ ﷺ بناء مسجده جعله منطلق دعوته، واجتماعه بأصحابه؛ مما يدلُّ على أهميَّة المساجد، وعمارتها بالبناء الحسي والمعنوي، وضرورة تطهيرها من كل دنس ورجس، كما فعل ﷺ بنبش

(١) المربد: الموضع الذي يجفَّف فيه التمر. «الصحاح» (٢/ ٤٧٢).
(٢) البخاري (٣٩٠٦).

القبور التي كانت في أرض المسجد؛ فلا يجتمع قبر ومسجد(١).

هكذا انتقل حبيبنا ﷺ إلى المدينة..

ثم هاجر إليها عامَّة أصحابه من كل مكان..

فكانت المدينة: بلد الأمن والإيمان، فأحبَّها ﷺ وأَنِس بها، وأحبَّها أصحابه وعوَّضهم الله دارًا عن دارهم التي أُخرجوا منها، فلله الحمد والمنَّة.

وعاش فيها ﷺ عشر سنوات، تَنقَّل في فِجاجها ودِيارها، ونشر دعوة التوحيد ومعه أصحابه، وفتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، وأقاموا دولته.

ثم كتب الله ﷻ له أن يعود لمكة المكرمة، ليطهِّر بيت الله الحرام من دَنَس الشرك والعبودية لغير الله، وليظهر توحيد الله ﷻ..

طاف على الكعبة وهو يكسر أصنامها ويهوي بهذه الحجارة مُؤْذِنًا بسقوط عقيدة الشرك والتنديد، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسرَاء: ٨١].

أظهر الله التوحيد، وأسقط الشرك ومظاهره، فلا يعبد إلا الله، ولا يرجى إلا هو ﷻ، ولا تطلب الحاجات إلا منه ﷻ، بلا شفعاء ولا واسطة.

عاد إليها بعد ثماني سنوات لتكون دار إيمان وتوحيد، بعد أن خرج منها وهي دار كفر وشرك؛ فلله الحمد والمنة.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: «فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق». «زاد المعاد» (٣/ ٥٠١).

دخلها فاتحًا في السنة الثامنة من الهجرة بجيش التوحيد..

وبعد أن دخلت السَّرايا التي قسمها رسول الله ﷺ حين وصوله لحدود مكة واجتمعت؛ نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه، والناس من حوله ومن خلفه، ورسول الله ﷺ مُطأطأً رأسَه في تواضع عظيم، حتى إنَّ لحيته كادت تمسُّ واسطة الرَّحل.

فأقبل ﷺ على المسجد الحرام فدخله، ثم اتجه إلى الحجر الأسود فاستلمه وقبله، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل النبي ﷺ يطعنها بقوسه ويقول:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسرَاء: ٨١].

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سَبَإ: ٤٩].

والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم دخل الكعبة؛ فرأى فيها الصُّور، ورأى فيها صُورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام! فقال ﷺ: «**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ**»(١)، وأمر بالصُّور فمحيت.

ثم أغلق عليه باب الكعبة، ومعه أسامة وبلال، فصلَّى داخل الكعبة، ودار فيها، وكبَّر في نواحيها، ووحَّد الله، ثم فتح الباب، وقريشٌ قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع، فقال النبي ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ..**

(١) أخرجه البخاري (١٦٠١).

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

ثُمَّ تلا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحُجرَات: ١٣] .

ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟**»

قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم، حليمٌ رحيمٌ.

قال: «**فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ**: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]»[(١)].

الله أكبر! أيُّ رحمة يحملها قلب هذا النبي الكريم ﷺ.

بعد أن آذوه في نفسه، وماله، وصحبه، ثم اضطروه إلى الخروج من داره وبلدته، تاركًا وراءه ذكريات حياته فيها، مهاجرًا إلى المدينة، وبعد أن قاتلوه في بدر وأحد والخندق، وقتلوا من أصحابه مَنْ قتلوا، فلمَّا تمكَّن منهم قال لهم: «**لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ**»!

هل يستطيع ذلك إلا من امتلأ قلبُه رحمةً ومحبة وعَفْوًا، ورغبة في الإحسان للخلق لعلَّهم يهتدون.

وفي اليوم الثاني قام رسول الله ﷺ خطيبًا في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ومَجَّده بما هو أهله، ثم قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السموات وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،**

(١) أخرجه النسائي (١١٢٣٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٤٥٤)، والبيهقي (١٨٢٧٥).

فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، أَوْ يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١).

وأقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً: يُجدد معالم الإسلام، وحنيفية إبراهيم الخليل عليه السلام بتوحيد الله الخالص الذي غيَّرته قريش بشركها بالله ما لا ينفع ولا يضر، ويرشد النَّاس إلى الهدى والتقى.

فخاف الأنصار - أهلُ المدينة- أن يستوطن النبي ﷺ مكة، ويترك المدينة..

وقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذْ فَتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها ويترك المدينة؟

فقال النبي ﷺ: «**مَاذَا قُلْتُمْ؟**»

فقالوا: لا شيء يا رسول الله.

فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «**فَمَا اسْمِيْ إِذًا؟! كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ**».

فأقبلوا إليه يبكون، يقولون: والله يا رسول الله، ما قلنا الذي قلنا إلا للضَّنِّ بالله وبرسوله(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (١٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠) .لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار في العقبة الثانية قال لهم: «**أُبَايِعُكُمْ** =

لقد آووه ونصروه، ولا يضيع هذا المعروف عند رسول الله ﷺ.

وبعد أن مكث فيها صلَّى الله عليه وسلم تلك الأيام عاد إلى مدينته طيبة الطَّيبة، ولم يأذن لأصحابه الذين هاجروا من مكة أن يتخلفوا فيها، بل أمرهم أن يعودوا إلى مهاجرهم «المدينة» أرض الإيمان.

= عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نَمنع منه نساءنا، فَبَايِعْنا يا رسول الله، فنحن أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر، فقال أحد الأنصار:

يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني العهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**» أخرجه أحمد (١٥٧٩٨)، فلمَّا فتح الله مكة - موطنه الأول - دار حديثُ الأنصار السابق فيما بينهم، فقال لهم رسول الله ﷺ عند ذلك: «**فَمَا اسْمِيْ إِذًا**»، أي إذا رجعت إلى استيطان مكة فيكون اسمي إذًا: مُذمَّمًا لا مُحمدًا؛ لنقضي عهدكم عند البيعة على ملازمتكم؛ وهذا النقض غيرُ مطابق لما اشتق منه اسمي: «محمد» وهو الحَمْد .**ينظر**: «إكمال المعلم» (٦/ ١٤٥)، «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٩/ ٢٧٥)

إلى الرفيق الأعلى

ولمَّا أتم ﷺ مهمته في تبليغ رسالة ربِّه، وأقرَّ الله عينه باستجابة من حوله لها، وأرسل بُعوثَه للعرب والعجم من أهل البلاد والممالك الأخرى دعاةً لتوحيد الله ﷻ = حان وقت رحيله ﷺ عن هذه الحياة الدنيا؛ كحال كُلِّ مَنْ خلقه الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

ومع تمام التبليغ واكتمال مهمته ﷺ كان ذلك إيذانًا بانتهاء عمره ﷺ.

وقد أحسَّ ﷺ بذلك، وكان يتلطَّفُ في إخبار أصحابه رضي الله عنهم بذلك رأفة بهم، وشفقة عليهم، ومن صور ذلك التلطُّف النَّبوي الكريم:

١- في حجة الوداع قال وهو يرمي على راحلته يوم النحر وصحابته رضي الله عنهم من حوله: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِه**»، ففي هذه العبارة إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ.

٢- عن أَبِي مُوَيْهِبَةَ رضي الله عنه - مولى رسول اللَّهِ ﷺ - قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ؛ فَانْطَلِقْ مَعِي**»، فانطلقْتُ معه في جَوْف الليل، فلمَّا وقف عليهم، قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيُهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا: الْآخِرَةُ أَشَرُّ مِنَ الْأُولَى**»..

ثم أقبل عليَّ، فقال: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةُ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي**»..

قلتُ: بِأَبي أنت وأمِّي، خُذْ مفاتيحَ خزائن الدُّنيا والخلد فيها، ثُمَّ الجنَّة.

قال: «**لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي**»..

ثُمَّ استغفر لأَهل البقيع، ثم انصرف، فبُدِئَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بوجعه الذي مات فيه[1].

رضي الله عن أبي مويهبة، ومن ذا الذي يلومه على قوله: «خُذْ مفاتيحَ خزائن الدُّنيا والخلد فيها، ثُمَّ الجنَّة»، إنه لا يتخيَّل حياته بدون رسول الله ﷺ.

٢- وبعث النبيُّ ﷺ معاذَ بنَ جبل إلى اليمن داعية للتوحيد، وخرج معه ﷺ لتوديعه وتوصيته، ومعاذ راكبٌ ورسول الله ﷺ يَمشي تحت راحلته.

فلما فرغ من وصيته له بأن يبدأ بالدعوة للتوحيد قبل كلِّ شيء؛ لأنه لا واجب على المكلفين أعظم من التوحيد عِلمًا وعملاً، وهو أول واجب عليهم..

قال له: «**يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي**»، فبكى معاذ بن جبل رضي الله عنه جشعًا لفراق

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٩٧)، والحاكم (٤٣٨٣) وصححه. وحسنه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ١٢١).

رسول الله ﷺ[(١)].

وحُقَّ له أن يبكي، وهو يتذكر قوله يومًا: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»[(٢)].

٣- وبعد ثمان سنين من معركة أحد صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات.

يقول عقبة بن عامر رضي الله عنه: صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين، كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**». قال عقبة رضي الله عنه: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ[(٣)].

وبدت شكوى مرض الموت فيه ﷺ وهو في بيت ميمونة رضي الله عنها، فاستأذن زوجاته أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها فَأَذِنَّ له.

فخرج من بيت ميمونة متكئٌ على الفضل بن عبَّاس وعلي بن أبي طالب، وهو يخطُّ برجليه في الأرض ﷺ، من ثِقل المرض[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٥٢)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ح٢٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١١٧)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٩٨٥٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦). قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا**»، أي: على مجموعكم؛ لأنَّ ذلك وقع من البعض. أعاذنا الله تعالى». «فتح الباري» (٣/ ٢١١).

(٤) أخرجه مسلم (٤١٨).

واشتدَّ عليه ﷺ المرضُ حتى أمرهم أن يصبُّوا عليه سَبعًا من القُرَب، ثم خرج على الناس فصلَّى بهم وخطبهم[١].

قال أنس رضي الله عنه: مرَّ أبو بكر، والعباس رضي الله عنهما، بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك..

قال: فخرج النبي ﷺ وقد عَصَّب على رأسه حَاشيةَ بُرْد[٢]، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرْشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**»[٣].

لله ما أعظم هذا الحبَّ للأنصار، ومَنْ أعظمُ من رسول الله ﷺ حِفظًا للودِّ والحقِّ، وقد استقبلوه، واستقبلوا أصحابه، وآووهم، وفَدَوْه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ**»، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ إنْ يكن اللهُ خيَّر عَبدًا بين الدُّنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله؟ ! فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٢).

(٢) **أي**: أن رسول الله ﷺ قد ربط رأسه من الوجع بطرفي ثوب من البُرُد، وهي نوع من الثياب المعروفة ذلك الوقت.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٧٩٩)، ومسلم (٣٨٠١). وقوله ﷺ: «**كَرْشِي وَعَيْبَتِي**»,**أي**: بطانتي وخاصتي

قال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**»(١).

رضي الله عن أبي بكر الصِّدِّيق، كان أحبَّ الناس لرسول الله ﷺ، وأقربهم إلى قلبه، فقد كان مع نبيِّنا ﷺ من أول بعثته، وإلى وداعه للدُّنيا؛ كان معه في كل نازلة وفي كل معركة..

كان معه: في الغار، ويوم بدر، وأحد، والخندق، وتبوك، فما بدَّل ولا غيَّر، فكان نعم الصاحب رضي الله عنه.

واشتدَّ الوجع به ﷺ فكان يَطرح خميصة على وَجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وَجهه(٢).

قالت عائشة رضي الله عنها: «دعا النَّبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ(٣)، فقال: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله».

فتراه فاطمة رضي الله عنها على حاله تلك فتقول «واكرب أباه!» فيقول لها: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيْكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**»..

---

(١) البخاري (٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٣).

(٣) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٣)، وأبو داود (٥٢١٧)، والنسائي (٩١٩٣)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه حديثًا وكلامًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قامَ إليها، فرحَّب بها، وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه. وكان إذا دخل عليها قامتْ إليه فأخذتْ بيده فرحَّبت، وقبَّلته، وأجلسته في مجلسها. فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فرحَّب بها وقبلها».

ثم أسر إليها حديثًا فبكت (بكاء شديدًا)، فقالت لها عائشة لها: لمَ تبكين؟

ثم أسر إليها حديثًا؛ فضحكت.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن!

فَسأَلْتُها عمَّا قال: فقالت: مَا كنت لأفشي سِرَّ رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ، فسألتها عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه؛ فبكيت ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت»[(١)].

وفي رواية: «**يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[(٢)].

كانت فاطمة عِلقة نبوية، أحبها رسول الله ﷺ حُبًا عظيمًا، فهي أعزُّ الناس عليه من أهله ، وكانت رضي الله عنها أصغر بناته، وهي التي تأخر موتها بعده، ولم يكن له من الأحفاد والأسباط إلا منها، فانقطع نسبه الشريف ﷺ إلا من طريقها.

كانت تزوره ويزورها، ويتفقد أحوالها، ويفرحه فرحها، ويهمُّه ما أهمَّها[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، (٣٦٥٢)، (٤٤٦٢)، ومسلم (٢٤٥٠)، والنسائي (٨٤٦٤).

(٢) أخرجها مسلم (٢٤٥٠).

(٣) أخرج أحمد (١٨٩٠٧) عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَاطِمَةُ مُضْغَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي مَا قَبَضَهَا، وَيَبْسُطُنِي مَا بَسَطَهَا**»، وفي رواية البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩): «**هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**».

فلم تطق ﵂ العيش بعده ﷺ فبكتْ لَمَّا علمت أنه سيموت في ذلك المرض، ثم ضحكت فرحًا لما علمت أنها ستدركه قريبًا، ولن يطول الفراق بينهما، فكانت وفاتها ﵂ بعد وفاة نبينا ﷺ بستة أشهر فقط[١]، فأيُّ شعور طاف بخاطرها ﵂ وهي تفجع بخبر أبيها قبل وقوعه، ثم بشارته لها بأنها سيدة نساء هذه الأمة، وانها أول أهل بيته يلحق به!

وصلَّى نَبيُّنا ﷺ آخرَ صلاة بالمسلمين، وقرأ فيها مع اشتداد المرض عليه بسورة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾[٢].

ويزداد عليه الوجع ﷺ حتَّى لا يقوى على رُقْيَة نفسه، فترقيه عائشة ﵂ بيده الشريفة.

تقول عائشة ﵂: «كان ﷺ إذا اشتكى نَفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلمَّا اشتكى وجعه الذي تُوفِّي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه»[٣].

واجتمع حوله أزواجه وتذاكرن كنيسة رأينها في الحبشة، فلمَّا سمع كلامهنَّ، رفع رأسه وقال - مع شدَّة مرضه - : «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ**»[٤].

---

(١) قال الذهبي ﵀: «وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة. وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة. والأول أصح». «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٢١)

(٢) أخرجه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢)

(٤) أخرجه البخاري (١٣٤١).

إنه التوحيد الذي بُعث من أجله وعاش داعيًا إليه، يموت ﷺ وهو يحذر من ضده، وتعظيم القبور وأهلها، ولو كانوا أنبياء، فهم أموات لا ينفعون ولا يضرون وإنما يطلب النفع من الله وحده فهو الذي يجلب النفع ويدفع الضرَّ.

قال ابن رجب رحمه الله: «اتخاذ القبور مساجد ليس هو من شريعة الإسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النبي ﷺ على ذلك»[(١)].

فلا يجوز أن تعظم القبور بالبناء عليها واتخاذها مساجد، ولا باتخاذها أعيادًا يجتمع إليها، وإنما المشروع أن يزورها الرجال فيما يسَّر الله من الأيام، من غير تحديد يوم معين، تزار ويدعى للميت ويترحم عليه، كما قال النبي ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْت**»[(٢)].

وكان في مدَّة مرضه - الذي استمر ثلاثة عشر يومًا[(٣)] - يوعك وعكًا شديدًا ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ[(٤)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكًا شديدًا فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا!

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٣/ ١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦). وقصد القبور للدعاء أو قراءة القرآن أو الصلاة عندها منكرٌ، ومن وسائل الشِّرك، فلا تُتخذ محلاً للدعاء والصلاة والقراءة، بل هذا من نوع اتخاذها مساجد.

(٣) قال ابن حجر رحمه الله: «اختُلف أيضاً في مدة مرضه عليه السلام، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يومًا، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه... وقيل: عشرة أيام». «فتح الباري» (٧/ ٧٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، مسلم (٢٥٧٠).

فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**».

فقلت: ذلك أنَّ لك أجرين؟

فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان بين يدي رسول الله ﷺ رَكْوة فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»(٢).

واشتدَّ به الوجع جدًا يوم الخميس الثامن من شهر ربيع الأول.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس»! ثم بكى حتَّى بَلَّ دَمْعُه الحصى، فقال: «اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، مسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٠). وأخرجه أحمد (٢٣٨٣٥)، والترمذي (٩٧٨)، وابن ماجه (١٦٢٣)، بلفظ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى سَكَرَاتِ المَوْتِ**»، وحسنَّه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٢). والركوة: وعاء صغير من الجلد، ولها طوق من خشب.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧).

السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[(١)].

وكان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، فما زال يقولها حتى ما يفيص بها لسانه[(٢)].

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول لعام أحد عشر من الهجرة صعدت الرُّوح الطَّيبة الشريفة إلى بارئها.

عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفِّي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسَّم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبيه لِيَصِل الصَّف، وظنَّ أنَّ النبي ﷺ خارجٌ إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أنْ أتِمُّوا صلاتكم، وأرخى السِّتر، فتوفي من يومه[(٣)].

تقول عائشة ﷺ: «إنَّ مِن نِعَم الله عليَّ: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْرِيْ ونَحْرِيْ[(٤)]، وأنَّ الله جمع بين رِيْقي ورِيْقه عند موته، دخل عليّ عبدُ الرحمن، وبيده السواك، وأنا مُسْندة

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٢١٦٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه أيضًا من حديث أم سلمة ﷺ (٢٦٤٨٣)، وكذلك أخرجه عنها النسائي (٧٠٦٠)، ابن ماجه (١٦٢٥). وجود إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٦٢). يقال: ما يفيص فلان بكلمة؛ إذا لم يقدر على أن يتكلم بها ببيان. «غريب الحديث» (٢/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

(٤) أي: بين صَدري وعنقي. والسَّحَر: الرئة أو الصدر. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٣٤٦).

رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنَّه يُحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «**أنْ نعم**»، فتناولته، فاشتدَّ عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: «**أنْ نعم**»، فليَّنته، فَأَمَرَّه، فاستن بها كأحسن ما كان مُستنًّاً، ثم نَاولنيه، ثم نصب يده، وجعل يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأعلى**»، إلى أن سقطت يده، فمات ﷺ، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة»(١).

فتصمت الدُّنيا في المدينة، وتسكن الأصوات؛ إلا صوت باكٍ على رسول الله ﷺ..

لقد مات رسول الله!!

وانقطع خبر السَّماء..

وتوقف نزول جبريل بالوحي..

وكأنَّ ما بين نزوله في الغار في مكة وانقطاع نزوله بموت رسول الله ﷺ لحظات من الدَّهر وليس سنوات من العمر!

وأظلم من المدينة كل شيءٍ..

يقول أنس رضي الله عنه: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع، منها: «(٤٤٥٠)، (٤٤٥١)، (٤٤٥٩)، (٥٢١٧)، (٥٦٧٤)، وفي بعضها: «**الرَّفِيْقُ**»، و«**الرَّفِيْق**» اسم جنس يشمل الواحد وما فوقه، والمراد الأنبياء ومَنْ ذُكر في الآية، وقد ختمت بقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩] **ينظر**: «زاد المعاد» (٣/ ٣٧)، «فتح الباري» (٨/ ١٣٧).

شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»[(١)].

ما أعظمها من مصيبة على من عاشها من صحابة رسول الله ﷺ، فسبحان من ثبَّتهم وألهمهم رشدهم.

قال ابن رجب رحمه الله «لما توفي ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهِش، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعْتُقل لسانه فلم ينطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: «إنَّما بُعث إليه كما بُعث إلى موسى»، وكان من هؤلاء عمر[(٢)].

وبلغ الخبر أبا بكر، فأقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله ﷺ مُسجَّى، فكشف عن وجهه الثوب، وأكبَّ عليه، وقبَّل جبهته مرارًا

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، والحاكم (٤٣٨٩)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص١٩٦).

(٢) أخرج البخاري (٣٦٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة وفاة النبي ﷺ: «إن رسول الله ﷺ، مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم». وإنما حلف عمر رضي الله عنه بناء على ظنه، وهو ما ذكره رضي الله عنه فيما رواه البخاري (٧٢١٩) عن أنس رضي الله عنه أنه سمع خُطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ، فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: «كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرنا» يريد بذلك أن يكون آخرهم. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدرة، وما معه غيري، إذ التفت إليَّ، فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم، قال: فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]، فو الله إنْ كنت لأظنُّ أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتَّى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت».

وهو يبكي وهو يقول:

«وانبياه، واخليلاه، واصفياه»(١)..

وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله رسول الله ﷺ»(٢)..

وقال: «بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أمَّا الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّها»(٣).

ثم دخل المسجد، وعمر يكلِّم النَّاس وهم مجتمعون عليه، فتكلَّم أبو بكر، وتشهَّد وحَمِد الله، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت»، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤] الآية(٤)، فاستيقن النَّاس كلهم بموته، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية مِن قَبْل أن يتلوها أبو بكر، فتلقَّاها الناس منه، فما يُسمع أحد إلا يتلوها...

كانت الجمادات تتصدَّع من ألم مفارقة الرسول ﷺ، فكيف بقلوب المؤمنين؟!

لمَّا فقده الجِذْع الذي كان يَخْطُب إليه قَبل اتِّخاذ المنبر حَنَّ إليه، وصاح كما يصيح الصَّبي، فنزل إليه فاعتنقه، فجعل يُهدِّيه كما يُهدَّى

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٤٤٧)، وأحمد (٢٤٠٩)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ١٥٧).
(٢) أخرجه أحمد (٢٥٨٤١)، وابن ماجه (١٦٢٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ١٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٢).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٧).

الصَّبي الذي يُسكَّن عند بكائه، وقال: «**لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خَشَبةٌ تِحنُّ إلى رسول الله ﷺ! فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه»(٢).

ومَا فَقدَ الماضونَ مثلَ محمَّدٍ ولا مِثلَهُ حَتَّى القِيَامَةِ يُفْقَدُ

ولتعلم - يا عبدَ الله - أنَّ محمد ﷺ رسول من الرسل، وهم بشرٌ، يَطرأ عليهم ما يطرأ على البشر: من الصِّحة والمرض، والنَّوم واليقظة، والبلاء والعافية، والعُسْر واليسر، والحياة والموت.

فإذا تمَّت آجالهم المقدَّرة أمر الله مَلَك الموت بقبض تلك الأرواح الطاهرة الشريفة، فيموتون كما يموت سائر البشر.

ونبينا محمَّد ﷺ كان أشرف رسول، أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة، وكان يؤكِّد دومًا أنه: عبد الله ورسوله، فمحبته ﷺ فرض لازم، ونتقرب إلى الله ﷻ بحبه.

إلا أنَّ ديننا قائم على التوحيد وهو إفراد الله بما يختصُّ به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات..

فلا يغلو المسلم فيه ﷺ بغير حق، فيجعله لله ندًا، ولا يستشفع به

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦)، والدارمي (١٥٦٣)، وابن ماجه (١٤١٥)، وصححه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٥٨)، وأحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٤/ ١٢٨). وأخرجه ابن حبان (٦٥٠٧) والآجري في «الشريعة» (١٠٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٠٨)، وفيه: قال المبارك بن فضالة: وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: «يا عباد الله! الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه».

(٢) «لطائف المعارف» (ص١١٠).

على الله ﷻ، ولا يطلب منه قضاء الحاجات، أو كشف الكربات.

وقد كان ﷺ طيلة حياته النبوية يؤكِّد على التفريق بين مقام الألوهية والنبوة، فلا يرفع إلى مقام الألوهية.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»(١).

وعن مطرف بن عبد الله، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ: فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»..

قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً(٢).

فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**»(٣).

الربُّ ربٌّ والرسول فَعَبْدُه ... حَقَّاً، ولَيْس لَنَا إلهٌ ثَانِ
لِلهِ حَقٌّ لَا يَكُوْنُ لِغَيْرِهِ ... وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ، هُمَا حَقَّانِ
لَا تجْعَلُوا الحَقَّيْنِ حَقَّاً وَاحِدًا ... مِنْ غَيْرِ تَمْيِيز وَلَا فُرْقَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) «أفضلنا فضلاً» أي: مزية ومرتبة، «وأعظمنا طولًا» أي: عطاء للأحباء وعُلوًا على الأعداء.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥٩٥)، وأبو داود (٤٨٠٦)، وجوَّد إسناده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٣٩)، والشوكاني في «الفتح الرباني» (١/ ٣٣٥).

ثم غسَّله ﷺ بنو أبيه - كما أمرهم أبو بكر رضي الله عنه بذلك[١] - علي ابن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم ابن العباس، ومعهم أسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقلِّبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه، وعليٌّ يغسِّله وعليه قميصه يَدْلُكُه به من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وكان يقول: «بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا»[٢].

ثم وُضِع ﷺ على سَريره في بيته، ثُمَّ دخل الناس أَرسالاً يُصلُّون عليه، حتى إذا فرغوا أَدْخلُوا النساء، حتى إذا فرغوا أَدْخَلوا الصبيان، ولم يَؤمَّ النَّاسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ[٣].

ودُفن ﷺ في بيته حيث قبض[٤]، وكان بيته خارج المسجد، ولم

---

(١) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٢٩٣٤)، والبيهقي (٦٦٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٥٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٤٣)، **ينظر**: «السيرة النبوية» لابن كثير (٤/ ٥١٤).

(٣) قال ابن عبد البر رحمه الله: «وأما صلاة الناس عليه [ﷺ] أفذاذًا فمجتمعٌ عليه عند أهل السير وجماعةِ أهلِ النقل لا يختلفون فيه». «التمهيد» (٢٤/ ٣٩٧) .**وينظر**: مسند الإمام أحمد (٢٠٧٦٦)، وابن ماجه (١٦٢٨). واختلف أهل العلم في سبب ذلك، ومن ذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله: «صلَّى الناس على رسول الله ﷺ أفرادًا لا يؤمهم أحد، وذلك لِعِظَم أمر رسول الله ﷺ، وتنافسهم في ألَّا يتولَّى الإمامة في الصلاة عليه واحد» «الأم» (١/ ٣١٤). وصلاة الجنازة تجوز فرادى وجماعة، قال النووي رحمه الله: «تجوز صلاة الجنازة فرادى بلا خلاف والسنة أن يصلى جماعة». «المجموع» (٥/ ١٧٢).

(٤) أخرج الترمذي (١٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «**مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**». قال ابن عبد البر رحمه الله: «ولا خلاف بين العلماء أن رسول الله ﷺ دفن في الموضع الذي مات فيه من بيته بيت عائشة رضي الله عنها». «الاستذكار» (٣/ ٥٤).

يُدخل فيه إلا بعد انقضاء القرون المفضلة، وكان ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك، وجعل بينه وبين المسجد جدارًا لكيلا يُصلِّي إليه أحد[١].

وقد بكاه الصحابة بعيونهم وقلوبهم، وبكاه حسَّان بن ثابت رضي الله عنه مثل ذلك، وبشعره أيضًا، فبقي ذلك الشِّعْر ما بقي الدَّهر يصوِّر للناس فَقْدَ الصَّحابة لرسول الله ﷺ.

حسان بن ثابت الذي عاش مع رسول الله ﷺ في المدينة، فلخَّص هذه المحبة التي عاشها في تلك الفترة بقوله:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِيْ وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ[٢]

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٤١٣). فالرسول ﷺ دفن في بيته وليس في المسجد، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن لمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد؛ بسبب التوسعة، وغلط في هذا، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك، فلا يجوز أن يقتدى به في هذا، ولا يظنُّ ظانٌّ أن هذا من جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد؛ لأنَّ هذا بيت مستقلٌّ أدخل في المسجد للحاجة للتوسعة، فالرسول ﷺ وصاحباه لم ينقلوا إلى أرض المسجد، وإنما أدخلت الحجرة التي هم بها في المسجد من أجل التوسعة، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضره، وهكذا قبر النبي ﷺ مفصول؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد ، ولهذا لما أدخلت الحجرة في مسجده المفضل بنوا عليها حائطًا؛ لئلا يُصلِّي أحد إلى قبره الكريم ﷺ، قال القرطبي رحمه الله في «المفهم» (٢/ ١٢٧): «فأعلوا حيطان تربته، وسدُّوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ثم خافوا أن يتخذ موضع قَبره قبلة إذْ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرَّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره». وهذا من استجابة الله لدعاء الرسول ﷺ فيما أخرجه مالك (٨٥) وأحمد (٧٣٥٨): «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**». قال ابن عبد البر رحمه الله: «هذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند». «التمهيد» (٥/ ٤٢). قال ابن القيم رحمه الله في «النونية» (ص٢١٥):

فَأَجَابَ ربُّ العَالَمِينَ دُعَاءَه وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ

حَتَّى اغْتَدَتْ أَرْجَاؤه بِدُعَائِهِ فِي عِزَّةٍ وحِمَايَةٍ وصِيَانِ

(٢) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٠).

فمما رثاه حسان قوله ﷺ:

مَا بَالُ عَيْنِك لا تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيْهَا بِكُحْلِ الأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلى المَهدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا ... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى لا تَبْعُد
وَجْهِي يَقِيَكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي ... غُيِّبتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الغَرْقَد
بِأَبِي وأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَه ... فِي يَوم الِاثْنَيْنِ النَّبِيُّ المُهتدَي
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتبلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْلَدِ
أَأُقِيْمُ بَعْدَكَ بَالمَدِيْنَةِ بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَني صُبِّحْتُ سَمَّ الأَسْوَدِ
يَا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَارَكِ بِكْرُهَا ... وَلَدَتْكَ مُحْصَنةً بِسَعْدِ الأَسْعَدِ
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا ... فِيْ جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُوْنَ الحُسَّدِ
فِيْ جَنَّة الفِرْدَوْسِ فاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الجَلالِ وَذَا العُلا وَالسُّؤدَدِ
نُوْرًا أَضَاءَ عَلى البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... مَنْ يُهدَ للنُّوْرِ المُبَارَكِ يَهْتَدي
صَلَّى الإِلَهُ وَمَن يَحُفُّ بِعَرْشِه ... والطَّيِّبُوْنَ عَلى المُبَارَكِ أَحْمَدِ[1]

وكان الصحابة ﷺ يشتاقون إليه في حياته، فكيف بهم بعد مماته؟!

قال علي بن أبى طالب ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أحبَّ إلينا من أموالنا، وأولادنا، وآبائنا، وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»[2].

ويقول أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يُقبِل وما على الأرض شخص أحب إلينا منه»[3].

وقال عروة بن الورد لقومه وهو يصف حال الصحابة ﷺ مع النبي

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٩٧).
(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٢٢).
(٣) أخرجه أحمد (١٢٥٢٥)، وإسناده على شرط مسلم.

ﷺ في صلح الحديبية: «والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إنْ رأيت مَلِكًا[١] قط يُعظِّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن تنخَّم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فَدَلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له»[٢]. أعلى النموذج ولم يكونوا رضي الله عنهم يفعلون ذلك من باب الذل والعبودية، ولكن من باب التوقير[٣].

ومع هذا الحب العظيم والإجلال الكبير من الصحابة رضي الله عنهم للنبيِّ ﷺ؛ فإنهم كانوا - كما تركهم - أمناء على عقيدة التوحيد التي بعث من أجلها، فلم يكونوا إذا ادلهمَّت الخطوب، أو هالتهم المفاجع يَهرعون إلى قبره للدُّعاء، وإنَّما كانوا يدعون الله ويستغيثون به.

ويتوسلون لله بقرابته الأحياء، ولا يتوسلون به ﷺ؛ لعلمهم بأنَّه مخالفٌ للحقِّ الذي جاء به ﷺ[٤].

---

(١) أي: ما رأيت ملكًا، وكلمة: «إنْ» نافية. «عمدة القاري» (١٤/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٣) العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعتَ له بلا محبة لم تكن عابدًا له، حتى تكون مُحبًا خاضعًا، وهذا لا تكون إلا لله ﷻ.

(٤) التوسل هو اتخاذ وسيلة تقرب إلى الله ﷻ، فهناك متوسل إليه وهو الله، ومتوسِل وهو العبد الضعيف، ومتوسل به وهو العمل المتقرَّب به إلى الله. وينقسم التوسل إلى: مشروع، وغير مشروع.
فالتوسل المشروع - وهو التقرب إلى الله بكلِّ ما يحبه الله ويرضاه - ثلاثة أقسام:
الأول: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرَاف: ١٨٠]. فتقول: يا رحيم ارحمني، ويا غفور اغفر لي، ويا رازق ارزقني، ويا ستِّير استرني، وهكذا. =

روى البخاري عن أنس بن مالك أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قَحَطوا استسقى بالعبَّاس بن عبد المطلب، فقال: «اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنَّا نَتوسَّل إليك بعمِّ نَبينا فَاسْقنا»، قال: فيسقون(١).

وبالجملة: «فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضلَّ وأضلَّ. ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابةُ إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله، هلك. وبالله التوفيق»(٢).

= الثاني: التوسل إلى الله بعمل صالح فعله الداعي نفسه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٣].

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، بشرط أن يكون حيًّا وأن يتوسل بدعائه لا بذاته. ومنه ما أخرجه البخاري (٩٣٣) ومسلم (٨٩٧) عن أنس بن مالك، قال: «أصابت الناس سَنَة على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي، فقال يا رسول الله: هَلَك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السَّماء قَزَعة، فو الذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ».

أمَّا التوسل غير المشروع، فهو التقرب إلى الله بوسيلة غير شرعية، مثل: التوسل بجاه المخلوق، أو بحقِّه، أو بشخصه، أو بصلاحه. أمَّا إذا صحبه صرف شيءٍ من العبادة للمتوسَّل به فهذا هو عين شرك أهل الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

(١) البخاري (١٠١٠)، ومن تأمل هذا الحديث: «وجد أنَّه دليل على عدم جواز التَّوسل بجاه النَّبيِّ ﷺ أو غيره، وذلك أنَّ التَّوسل هو اتِّخاذ وسيلة؛ والوسيلة هي الشَّيء الموصل إلى المقصود، والوسيلة المذكورة في هذا الأثر: «نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا»؛ المراد بها: التوسل إلى الله تعالى بدعاء النَّبيِّ ﷺ، كما قال الرجل: «يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا»، ولأن عمر قال للعباس: «قم يا عباس فادع الله، فدعا»، ولو كان هذا من باب التَّوسل بالجاه لكان عمر ﷺ يتوسل بجاه النَّبيِّ ﷺ قبل أن يتوسل بالعبَّاس؛ لأنَّ جاه النَّبيِّ ﷺ أعظم عند الله من جاه العبَّاس وغيره، فلو كان هذا الحديثُ من باب التوسل بالجاه لكان الأجدر بأمير المؤمنين عمر ﷺ أن يتوسَّل بجاه النَّبيِّ ﷺ، دون جاه العباس بن عبد المطلب». «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢/ ٣٥١)

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٣٣).

أسماء المدينة

المدينة لها أسماء عديدة، وتعدُّد الأسماء يدل على تعظيم المسمَّى.

قال الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المُسمَّى أو كماله في أمر من الأمور، أمَا ترى أنَّ كثرة أسماء الأسد دلَّت على كمال قوَّته، وكثرة أسماء القيامة دلَّت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلَّت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلَّت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلَّت على عُلوِّ رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه وفضيلته»[(١)]

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ «ولها [أي المدينة] نحو مئة اسم...، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. قال النووي: لا يعرف في البلاد أكثر أسماء منها ومن مكة»[(٢)].

فمن أسمائها:

* يثرب، وهو اسمها في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣].

وقد استنبط بعض أهل العلم من قوله ﷺ: «**يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ**

(١) «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٨٨).

(٢) «فيض القدير» (١/ ٤١).

المَدِينَةُ»[١]، كراهة تسمية المدينة بيثرب[٢].

وأما تسميتها في القرآن: يثرب، فإنما هو حكايةٌ عن قول المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٢-١٣].

* المدينة، فَعِيْلَة مِنْ مَدَنَ بالمكان أقام، والمراد البلدة النبوية، وأصبحت علمًا عليها، وعلى غيرها بالإضافة، وبه سميت بعد هجرة النبي ﷺ إليها، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»[٣].

قال المناوي رحمه الله: «وهي المدينة الكاملة، التي تستحق أن يقال لها مدينة على الإطلاق كالبيت للكعبة»[٤].

* **القرية**، قال ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى**»[٥].

* **طابة**، قال ﷺ: «**هَذِهِ طَابَةُ**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **ينظر**: «التمهيد» (٢٣/ ١٧١)، «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/ ١٥٤)، «فتح الباري» (٤/ ٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦).

(٤) «فيض القدير» (١/ ٤١).

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢).

(٦) أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

* **طيبة**، لقوله ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله «والطَّاب والطَّيب لغتان بمعنى، واشتقاقهما من الشيء الطيب، وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل: من طيب العيش بها»(٢).

* **الدار، والإيمان**، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

* **البحيرة، البحرة**، لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما في قصة ابن أبي بن سلول، قال سعد بن عبادة: «يا رسول الله اعف عنه، واصفح عنه، فو الذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه»(٣).

* **الدرع الحصينة**، لقوله ﷺ: «**وَرَأَيْتُ أَنِّيْ فِيْ دِرْعٍ حَصِيْنَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا المَدِيْنَةَ**»(٤).

* **دار الهجرة، دار السنة، دار السلامة**، قال عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «يا أمير المؤمنين، إنَّ الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغاءهم، وإني أرى أنَّ المدينة تنفي خبثها، تمهل، حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (١٣٨٤).

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٦)، ومسلم (١٧٩٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٤٥)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٤/ ١٤٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٢٨).

إلى غير ذلك من أسمائها.

وقد ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عشرة أسماء لها: المدينة، وطيبة، وطابة، والمُطَيَّبة، والمسكينة، والمدرى، والجابرة، والمجبورة، والمُحبَّبة، والمَحْبوبة[١].

وذكر السمهودي للمدينة أربعة وتسعين اسمًا[٢].

صلى الله على ساكنها أفضل صلاة وأتمها.

(١) «فتح الباري» (٤/ ٩٠).

(٢) «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (١/ ١٣).

المدينة حرام

المدينة حرم، له حدود وأحكام، تختلف عن سائر البقاع، كما تختلف عن الحرم المكي في بعض الأحكام[١].

قال ﷺ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ**»[٢].

وجاء في الحديث الآخر: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ، حَرَامٌ مَا بَيْنَ حَرَّتَيْهَا وَحِمَاهَا كُلُّهُ، لَا يُخْتَلَى خَلاهَا، وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا، إِلا لِمَنْ أَشَارَ بِهَا، وَلا تُقْطَعُ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ، وَلا يُحْمَلُ فِيهَا السِّلاحُ لِقِتَالٍ**»[٣].

ومعنى حرمتها: أنها آمنة:

١ - فصيدها لا يصاد، ومن أمسك شيئًا من الصَّيد داخل حدود حرم المدينة فعليه أن يُطلقه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ**»)[٤].

---

(١) **ينظر**: «البيان والتحصيل» ((٤/ ١٩)، «المجموع» (٧/ ٤٧٦)، «الكافي» (١/ ٥٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٠).
(٣) أخرجه أحمد (٩٥٩)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٢/ ١٩٨).
(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٣)، ومسلم (١٣٧٢).

وروى عطاء بن يسار عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه وجد غِلْمانًا قد ألجئوا ثعلبًا إلى زاوية، فطردَهم عنه، وقال: «أفي حَرَم رسول الله ﷺ يُصنع هذا؟»(١).

٢ - وشجرها لا يقطع؛ إلا ما دعت الحاجة إليه؛ كالحشيش للعلف، وقطع الأشجار للحرث، وما أشبهه.

٣ - ولقطتها لا تلتقط، واللقطة: اسم للشيء الذي تجده ملقى فتأخذه، ويحتاج إلى تعريف.

٤ - والسلاح لا يحمل فيها لغير ضرورة ولا حاجة؛ لأنها آمنة.

والمدينة الآن: منها شيء داخل حدود الحرم، وشيء خارج عن حدود الحرم.

وقد حدَّ النبيُّ ﷺ حدود حرم المدينة من جهاتها الأربع.

فقال ﷺ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْر**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**»(٣).

فيحدُّها من الجنوب: جبل عير، وهو جبل ممتد من الغرب إلى الشرق.

ويحدُّها من جهة الشمال: جبل ثور، وهو جبل صغير شمالي أحد.

ويحدُّها من جهة الشرق: الحرَّة الشرقية، وهي إحدى لابتيها.

---

(١) أخرجه مالك (٢٦٠١)، والبيهقي (٩٩٧٠)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٣٣)، ومسلم (١٣٦١).

ويحدُّها من الغرب: الحرَّة الغربية وهي اللابة الثانية.

وفي العصر الحاضر: قامت لجنة رسمية بتحديد منطقة الحرم، ووضعت الجهات المختصَّة علامات معمارية على شكل أقواس المسجد النبوي تبين حدود الحرم من الجهات الأربع.

فضائل المدينة

المدينة هي دار الهجرة، وفيها اجتمع المهاجرون والأنصار، ومنها فُتحت البلاد، وانتشر الدِّين وظهر، وانقمع الشرك وتوارى، وفيها تنزلت عامة آيات الأحكام والشرائع، وعاش فيها ﷺ حتى مات، ودفن بها، فمنها انتشر الإسلام في أوله، وإليها يعود ويجتمع في آخره، وهي «معدن الخلافة ومقصد الناس وملجأهم وحملت إليها خيرات الأرض»[(١)].

وقد اختارها الله واصطفاها لنبيه ﷺ، ورتب لها عددًا من الفضائل، ومنها:

١ - تحريمها، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ أشار إلى المدينة وقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ**»[(٢)]، **فتحريمها دليل على فضلها، وهذا التحريم يستلزم أَمْن أهلها، وألا يراد بهم سوء.**

أخرج مسلم من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة، فقال: «**إِنَّها حَرَمٌ آمِنٌ**»[(٣)].

٢ - عِظم بركتها، وهذا يشعر به من يسكن فيها، فأرزاقها، ومآكلها، وثمارها مباركة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٩).

(٣) مسلم (١٣٧٥)

رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحَرَّة بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «**ائْتُونِي بِوَضُوءٍ**»، فلمَّا توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبَّر، ثم قال: «**اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ، وَخَلِيلَكَ، دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ، مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْن**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مِكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَمُدِّهِمْ**»، يعني أهل المدينة[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله «قال النووي: الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيل بحيث يكفي المدُّ فيها من لا يكفيه في غيرها، وهذا أمر محسوس عند من سكنها»[(٣)].

٣ - رفع الحُمَّى والوباء عنها حين هاجر إليها رسول الله ﷺ، فقد كانت معروفة في الجاهلية بأنها أَوْبَأُ أرض، ولما قدم الصحابة إليها مرضوا بسبب تلك الحُمَّى، فكانوا يُصلُّون قعودًا من شدَّة المرض، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهي مُحِمَّة، فَحُمَّ الناس، فدخل النبي ﷺ المسجد، والناس قعود يصلون. فقال النبي ﷺ: «**صَلاةُ القَاعِدِ نِصْفُ صلاةِ القَائِمِ**»،

(١) أخرجه أحمد (٩٣٦)، والترمذي (٣٩١٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٤٢٧٠)، وابن خزيمة (٢٠٩)، وابن حبان (٣٧٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح١٢٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٣٠)، ومسلم (١٣٦٨).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٩٨).

فتجشَّم الناس الصلاة قيامًا[١].

وأصاب الصحابة المهاجرين ضنكًا شديدًا، فعن عائشة ﵂ قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر، وبلالٌ.

فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصْبِحٌ فِيْ أَهْلِهِ وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه الحُمَّى يرفع عقيرته[٢] يقول:

أَلا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِيْ إِذْخِرٌ وَجَلِيْلُ
وَهَلْ أَرِدَنَّ يَوْمَاً مِيَاهَ مَجِنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنَّ لِيْ شَامَةٌ وَطَفِيْلُ

قال: اللهم الْعَنْ شيبةَ بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف؛ كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

قالت ﵂: وقدمنا المدينة وهي أَوْبَأُ أرض الله، وكان بطحان يجري نَجْلاً[٣].

قالت: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**»[٤].

٤ - أنَّ الإيمان يأرز إليها، أي: ينظم ويجتمع بعضه إلى بعض، فعن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤١٢١)، وأحمد (١٢٣٩٥)، وهو حديث صحيح.

(٢) أي: رفع صوته، قال الأصمعي: «وأصل ذلك أن رجلا قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى وصرخ بأعلى صوته فقيل لكل من رفع صوته رفع عقيرته». «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣٧٤)

(٣) أي: ماء آجنًا. «فتح الباري» (٤/ ١٠١).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، (٣٩٢٦).

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله «أي: إنَّها كما تنتشر من جُحرها في طلبِ ما تعيش به؛ فإذا رَاعها شيءٌ رَجعت إلى جُحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة»(٢).

٥ - حمايتها من الدجال، فإن الدجال يخرج من جهة المشرق، ثم يسير في الأرض فلا يدع بلدًا إلا دخله، غير مكة والمدينة.

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَان**»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»(٤).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٦) ومسلم (١٤٧). (٢) «فتح الباري» (٤/ ٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٢)، والترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٩)

وروى مسلم من حديث فاطمة بنت قيس - في قصة تميم الدَّاري والجسَّاسة - أنَّ الدجال قال لهم : (إني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدًا - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا، يصدُني عنها، وإنَّ على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ - وطعن بمخصرته في المنبر - : «**هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ**» - يعني المدينة - «**أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟**» فقال الناس: نعم، فقال: «**فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ**»(١).

٦ - شفاعة النبي ﷺ لمن يموت فيها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن نبي الله ﷺ قال: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا**»(٢).

٧ - أنَّ من استصبح بسبع تمرات من تمرها لم يضره شيء، كما أخرج مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥٤٣٧)، والترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢). وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦/ ١٠٣٤).

وشفاعة النبي ﷺ جاء الخبر أن المرء يدركها - أيضًا - إذا داوم على عمل يسير وسهل بإذن الله، وهو ما أخرجه البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**».

قال: «**مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِيَ**»(١).

ففي الحديث فضيلة تمر المدينة، وفضيلة التَّصبح بسبع تمرات منه، وتخصيص تمر المدينة دون غيرها وعدد السبع من الأمور التي عَلِمها الشَّارع، ولا نعلم نحن حكمتها، فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضلها، والحكمة فيها(٢).

٨ - أنَّ من أراد بأهلها بسوء فهو متوعد بوعيد شديد، كما أخرج البخاري عن سعد ين أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَكِيدُ أَهْلَ المَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي المَاءِ**»(٣).

وعند مسلم: «**وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ**»(٤).

٩ - تفضيلها بتفضيل بعض الأماكن فيها، كالمسجد النبوي الشريف، والروضة الشريفة، ومسجد قباء، وجبل أحد، ووادي العقيق(٥).

---

(١) مسلم (٢٠٤٧).

(٢) **ينظر**: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٣).

(٣) البخاري (١٨٧٧).

(٤) مسلم (١٣٦٣).

(٥) وادي العقيق جعله الله ﷻ مباركًا، وأمر نبيه ﷺ بالصلاة فيه. روى البخاري (١٥٣٤) عن ابن عباس ﷺ، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ**».

مشروعية شدِّ الرحال إلى المسجد النبوي

أفضل بقاع الأرض وأحبها إلى الله المساجد[١]، وهي بيوت الله التي أَذِن أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمُه، وهي تختلف شرفًا وفضلاً. وقد أعلى الله ﷻ ثلاثة منها، فقدَّمها على ما عداها، وكرَّمها وفضَّلها تفضيلاً؛ وتلك هي التي جاء النص بتسميتها وجواز شدِّ الرحال إليها تعظيمًا لها، ونهى عن شد الرحل إلى ما سواها من المساجد؛ فضلاً عن غيرها من الأماكن.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[٢].

فلا تشدُّ الرِّحال إلى بقعة لفضلها إلا إلى هذه البقاع الثلاثة المذكورة في الحديث، ولا يعني تحريم السَّفر مطلقًا، وإنما هو لمَنْ قصد مكانًا معتقدًا أفضيلته.

والصلاة في المسجد النبوي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

---

(١) أخرج مسلم (٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**».

(٢) البخاري (١١٨٨)، مسلم (١٣٩٧). وأخرجه مسلم (٨٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: «**لا تَشُدُّوْا**».

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وشد الرحل إلى مسجده مشروع باتفاق المسلمين»(٢).

فإذا رغب المسلم أن يسافر للمدينة، فإنه يعقد عزمه ونيته أن تكون زيارته للمسجد النبوي الشريف، فهو المكان الذي يشد إليه الرحل في المدينة.

وإذا وصل إلى المسجد اسُتحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله، ويقول: «**اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك**»(٣)، أو يقول: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٤)، كما يقول ذلك عند دخول سائر المساجد، وليس لدخول مسجده ﷺ ذكر مخصوص، ثم يصلي تحية المسجد ركعتين، وله أن يتطوع بما شاء ما لم يكن في وقت نهي، فيدعو الله فيهما بما أحب من خيري الدنيا والآخرة.

ومن زار المدينة قاصدًا الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، استُحِبَّ له أيضًا أن يزور الأماكن التالية:

١- الروضة الشريفة:

وهي المكان الواقع بين بيت المصطفى ﷺ - وهو بيت عائشة رضي الله عنها - ومنبره ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٧١٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.

قال النبي ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**»(١).

وقد حددت الجهات المسؤولة مكان الروضة الشريفة، ووضعت له فَرشًا مختلفًا لتمييزه عن بقية المسجد.

والصلاة في الروضة الشريفة أفضل من أي مكان في المسجد، فيستحب أن يكثر من الصلاة النافلة فيها(٢).

سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أي مواضعه أحبُّ إليك؟ قال: «أمَّا النافلة: فمصلَّى النبي ﷺ، وأما الفريضة: فيقْدُم إلى أول الصف أحب إلي»(٣).

ومصلَّى النبي ﷺ الذي يقصده الإمام مالك هو في الروضة الشريفة.

فيستحب لمن زار المدينة: الحرص على الصَّلاة والعبادة فيها.

٢- قبر النبي ﷺ المكرَّم:

يستحب لمن كان بالمدينة أن يزور قبر نبينا محمد ﷺ(٤)، وقد حثّ النبي ﷺ على زيارة الرجال للقبور عمومًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز» (١٦/ ١٠٢).

(٣) «البيان والتحصيل» لابن رشد (١/ ٣٧٠).

(٤) كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يصفه بـ«**القبر المكرم**»، ومن ذلك قوله: «ولا اسَتَحب هو ﷺ، ولا أحد من أصحابه، ولا علماء أمته: أن يجاور أحدٌ عند قبر ولا يعكف عليه؛ **لا قبره المكرم**، ولا قبر غيره، ولا أن يقصد السُّكنى قريبًا من قبر أيِّ قبر كان». «دقائق التفسير» (٢/ ٤٧)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والسلام عليه عند **قبره المكرم** جائز». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٢٢)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلماء المسلمين قد ذكروا في مناسكهم استحباب السَّفر إلى مسجده وذكروا زيارة **قبره المكرم**، وما علمت أحدًا من المسلمين قال: إنَّه من لم يقصد إلا زيارة القبر يكون سفره مستحبًا». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٤٥)، وكان شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يصفه بـ«القبر الشريف».

فعن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أُمِّه فَبَكى وأَبْكَى من حوله فقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»(١).

وقبر رسول الله ﷺ أولى ما يزار من القبور(٢)، ولكن لا يَشدُّ له المسلمُ الرَّحْل، ولا يَجْعلُ مَقْدَمه للمدينة المنورة لزيارة القبر فقط، بل يكون زيارته للمدينة للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، وإن أدخل معه نية زيارته ﷺ فلا بأس.

قال شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله «المشروع لمن أراد زيارة قبر النبي ﷺ وهو بعيد عن المدينة أن يقصد بالسَّفر زيارة المسجد النبوي، فتدخل زيارة القبر الشريف وقبري أبي بكر وعمر والشهداء وأهل البقيع تبعًا لذلك، وإن نواهما جاز؛ لأنه يجوز تبعًا ما لا يجوز استقلالاً.

أمَّا نية القبر بالزيارة فقط فلا تجوز مع شدِّ الرحال، أمَّا إذا كان قريبًا لا يحتاج إلى شدِّ رحال، ولا يسمَّى ذهابه إلى القبر سفرًا فلا حرج في ذلك؛ لأن زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه من دون شدِّ رحال سنة وقربة، وهكذا زيارة قبور الشُّهداء وأهل البقيع، وهكذا زيارة قبور المسلمين في كل مكان سنة وقربة، لكن بدون شدِّ الرحال»(٣).

فهناك فرق بين زيارة القبور - ومنها قبر النبي ﷺ - والسفر

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦)

(٢) لم يثبت في فضل زيارة القبر المكرَّم حديثٌ، وكل ما ورد فيه ضعيفٌ جدًا، أو موضوعٌ لا أصل له، إلا أن القبر المكرم يدخل دخولاً أوليًا في الأحاديث العامة التي وردت في فضل زيارة القبور.

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٣٢٧).

إليها[١]، فزيارة القبور قربة إلى الله ﷻ ومأمور بها - كما سبق - وتخصيصها بالسفر.

وصفة زيارة قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

أن يقف أمام القبر المكرم بأدب، ويخفض صوته، فإن النبي ﷺ مُوقَّر حيًّا وميتًا[٢].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحُجرَات: ٢-٣].

عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائمًا في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالا: من أهل الطائف، قال: «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!»[٣].

ويسلِّم على النَّبي ﷺ وصاحبيه، فعن نافع: أن ابن عمر كان إذا قدم من سفرٍ دخل المسجد ثم أتى القبر فقال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه»[٤].

---

(١) وهو ما يعرف عند أهل العلم بشدِّ الرحال.

(٢) «التحقيق والإيضاح» (ص٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧٩٣)، وعبد الرزاق (٦٧٢٤)، والبيهقي (١٠٢٧١)، وصححه الألباني في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص٨١).

وإن قال: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك

يا سيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده. اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. فلا بأس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ «وإذا قال في سلامه: السلام عليك يا رسول الله، يا نبي الله، يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربه، يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته، بأبي هو وأمي ﷺ»(١).

وإن قال في السلام على أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السلام عليك يا أبا بكر الصديق ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ، وثانيه في الغار، جزاك الله عنَّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلا بأس.

وإن قال في السلام على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السلام عليك يا عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا ثاني الخلفاء الراشدين، جزاك الله عنَّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلا بأس.

ثم ينصرف بأدب.

وهناك مخالفات يقع فيها بعض زُوَّار القبر المكرَّم، ومن أبرزها:

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ١٤٦).

١ - دعاء الرسول، أو نداؤه، أو الاستغاثة به، أو الاستعانة به؛ كقول بعضهم: (يا رسول الله اشف مريضي، يا رسول الله اقض ديني)، أو غير ذلك من الأقوال المضادَّة للتوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ كما سبق بيانه لك.

٢ - التمسح بجدار الحجرة، أو استلامه[١]؛ فالمسح والاستلام عبادة اختص بها الحجر الأسود والركن اليماني.

٣ - الطواف على القبر، فالطواف عبادة اختصَّ الله بها بيته الحرام، ولم يشرعها في غيره.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ «لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله الحُليمي وغيره: ويكره مَسْحه باليد وتقبيله، بل الأدب: أن يبعد منه، كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فإنَّ الاقتداء والعمل إنَّما يكون بأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى مُحدثات العوام وجهالاتهم، ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في قوله ما معناه: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأنَّ البركة إنما هي فيما وافق الشَّرع وأقوال العلماء، وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[٢].

---

(١) مرَّ معنا أن الجدار لم يُبن إلا بعد عهد النبي ﷺ بقرون.

(٢) «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» للنووي (ص٤٥٦).

وقال الإمام النووي أيضًا: «وقال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني - وكان من الفقهاء المحققين في كتابه في الجنائز -: ولا يستلم القبر بيده ولا يقبِّله، قال: وعلى هذا مضت السنة. قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعًا، ينبغي تجنب فعله، وينهى فاعله.

قال: فمن قصد السَّلام على ميِّت سلَّم عليه من قبل وجهه، وإذا أراد الدَّعاء تحوَّل عن موضعه، واستقبل القبلة.

قال أبو موسى: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مُستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت، يُسلِّم ولا يمسح القبر، ولا يقبِّله، ولا يمسُّه، فإنَّ ذلك عادة النصارى.

قال: وما ذكروه صحيح؛ لأنَّه قد صح النَّهي عن تعظيم القبور، ولأنَّه إذا لم يُستحبُّ استلام الركنين الشَّاميين من أركان الكعبة؛ لكونه لم يُسنُّ مع استحباب استلام الركنين الآخرين؛ فلأنْ لا يستحبُّ مسُّ القبور أولى»[(١)].

٤ - الوقوف أمام القبر كهيئة المصلي، بوضع اليمين على الشِّمال على الصدر أو تحته، وذلك فعل محرّم، لأن تلك الهيئة هيئة ذل وعبادة لا تجوز إلا لله ﷻ.

٥ - دعاء الله عند القبر، أو اعتقاد أنَّ الدعاء عنده مستجاب، وذلك

(١) «المجموع» للنووي (٥/ ٣١١).

فعل محرَّم؛ لأنه من أسباب الشرك، ولو كان الدعاء عند القبور، أو عند قبر النَّبي ﷺ أفضلَ وأصوبَ وأحبَّ إلى الله لرغَّبنا فيه رسول الله ﷺ، لأنه لم يترك شيئًا يقرِّب إلى الجنة إلا وحثَّ أمته عليه، فلما لم يفعل ذلك عُلم أنه فعل غير مشروع.

وقد رأى عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوْا قَبْرِيْ عِيْدًا، وَلا بُيُوْتُكُمْ قُبُوْرًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ يَبْلُغُنِيْ أَيْنَ كُنْتُمْ**»(١).

٦ - إرسال من عجز عن الوصول إلى المدينة سلامه لرسول الله ﷺ مع بعض الزوار، وقيام بعضهم بتبليغ هذا السلام، وهذا فعل حادث مُبتدع، لم يُعرف عن السلف الصالح، ومن يفعل ذلك فقد ترك ما أمره به النبي ﷺ بقوله: «**وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»(٢).

٧ - تكرار زيارة القبر المكرم؛ بحيث يعتاد زيارته كل يوم أو بعد كل فريضة. وهذا مخالف لقوله ﷺ: «**لا تجعلُوا قَبْرِي عِيدًا**»(٣).

قال الملا علي القاري رحمه الله «كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٤٢)، وأبو يعلى (٤٦٩)، والضياء في «المختارة» (٤٢٨)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢١٩).

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٣٨٥)، وصححه النووي في «المجموع» (٨/ ٢٧٥).

بقبور أنبيائهم، فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون أمواتهم حتى اتخذوها أصنامًا، وإلى هذا أشار لقوله [ﷺ]: «**اللهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِيْ وَثَنَاً يُعْبَدُ**»، فيكون المقصود من النَّهي كراهةَ أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز، ولهذا وَرد: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى قَوْمٍ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وقيل: العيد اسم من الاعتياد، يقال: عاده، واعتاده، وتعوَّده، أي: صار عادة له، والعيد ما اعتادك مِنْ هَمٍّ أو غيره، أي: لا تجعلوا قبري محلَّ اعتياد فإنَّه يؤدِّي إلى سوء الأدب، وارتفاع الحشمة، ولا يُظن أنَّ دعاء الغائب لا يصل إليَّ»[(١)].

وقال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ «وسئل [أي الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ] عن الغريب يأتي قبر النبي ﷺ كل يوم، فقال: «ما هذا من الأمر».

قال محمد بن رشد: المعنى في هذا: أنه إنَّما يلزمه أن يسلم عليه كلما مرَّ به، وليس عليه أن يمرَّ به ليسلم عليه...، ويكره له أن يُكثر المرور به والسلام عليه، والإتيان كل يوم إليه، لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: «**اللهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِيْ وَثَنَاً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٢)].

وقد كره الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلَّما دخل أحدهم المسجد، أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٧٤٤).

(٢) «البيان والتحصيل» (١٨/ ٤٤٤).

وصاحبيه، وقال: إنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا ونحو ذلك[١].

٨ - اعتقاد أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة أو شرط في الحج، كما يظنه بعض الحجاج، بل هي مستحبة في حقِّ من زار مسجد الرسول ﷺ، وليست من مناسك الحج.

٩ - اتفق الأئمة على أنَّه لا يَمَسُّ قبر النبي ﷺ ولا يُقَبِّله، وهذا كله محافظة على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله: اتخاذ القبور مساجد.

قال ابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ «فترى مَن لا علمَ عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسَّحُ به، ويُقَبِّله، ويُلقون عليه مناديلَهم وثيابهم؛ يقصدون به التبَرُّك، وذلك كلُّه من البدع؛ لأنَّ التبركَ إنما يكون بالاتِّباع له عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وما كان سببُ عبادة الجاهلية للأصنام إلَّا من هذا الباب»[٢].

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ «ومن البدع أيضًا:... طوافهم بالقبر الشريف، ولا يحلُّ ذلك، وكذلك إلصاقُهم بطونهم وظهورهم بجدار القبر، وتقبيلُهم إيَّاه بالصُّندوق الذي عند رأس النبي ﷺ، ومسْحُه باليد؛ وكل ذلك مَنهيٌّ عنه»[٣].

٣- مقبرة البقيع:

وهي من الأماكن التي يستحب للقادم للمدينة المنورة أن يزورها،

(١) **ينظر**: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٨٨)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٤١).

(٢) «المدخل» (١/ ٢٦٣).

(٣) «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» (ص١٨٥).

وهي مدفن أهل المدينة، وتقع في جنوب شرق المسجد النبوي الشريف.

والمقصود من زيارة الموتى هو الإحسان إليهم بالدعاء لهم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، وتذكر الموت والآخرة، وليس المقصود دعاءهم ولا الاستغاثة بهم، ولا اعتقاد أنَّ دعاء الله في ذلك الموطن هو أحرى بالإجابة[١].

عن عطاء بن يسار، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**»[٢].

وهذه المقبرة قد دفن فيها عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ،

---

(١) زيارة القبور تنقسم إلى قسمين: مشروع وممنوع:

فالمشروع ما جاء الإذن به على لسان الشارع بزيارة الرجال لها دون النساء، من غير شدٍّ رحل لها، فيدعو المسلم لأهلها، ويستغفر لهم، فيكون هو المحسن إليهم بذلك، مع تذكر الآخرة، وأنَّ هذا مصيره بعد حين، فهذه زيارة مستحبة وقد أذن الشارع بها في قوله ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**» [أخرجه أبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي (٢٠٣٤)، وابن ماجه (١٥٦٩) واللفظ له، وأصله في صحيح مسلم (١٩٧٧) بلفظ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**»].

وأمَّا الممنوع فنوعان: أحدهما: محرم ووسيلة للشرك بالله ﷻ؛ كالتَّمسح بها، والصلاة عندها، والبناء عليها، والغلو فيها، مالم يصل إلى حدِّ العبادة. ونوع هو شرك أكبر - والعياذ بالله - مثل دعاء أهلها، والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج منهم كالرزق، والزوج، والولد، ورد الغائب، وتفريج الهموم. وساء في هذا دعاؤه لذاته واعتقاد أنه قادر أو جعله وسيلة بينه وبين الله.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٤). وسمي «بقيع الغرقد» لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من العَوسج.

ومنهم[(١)]:

١- أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢- أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها.

٣- أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.

٤- أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

٥- أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٦- البضعة النبوية فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

٧- البضعة النبوية رقية بنت رسول الله ﷺ.

٨- إبراهيم بن النبي ﷺ.

٩- الحسن بن علي رضي الله عنهما.

١٠- أسعد بن زرارة رضي الله عنه

١١- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

١٢- أروى بنت كريز رضي الله عنها.

١٣- ريحانة بنت شمعون رضي الله عنها.

١٤- عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

١٥- مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

---

(١) **ينظر في ذلك**: «الطبقات الكبرى»، «البداية والنهاية»، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، «الإصابة في تمييز الصحابة».

١٦- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١٧- ريحانة بنت عمرو رضي الله عنها.

١٨- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه.

١٩- أسيد بن الحضير رضي الله عنه.

٢٠- صفية بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ.

٢١- العبَّاس بن عبد المطلب عمُّ رسول الله ﷺ.

٢٢- سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه.

٢٣- أبو هريرة رضي الله عنه.

وغيرهم كثير مما يصعب حصرهم، وجمع من التابعين وتابعيهم من فضلاء الأمة.

كما دفن فيها رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول.

ولا يعلم على جهة التأكيد أين مواقع هذه القبور الآن، وما يتناقله الناس من تحديد لم يرد فيه شيء مقطوع به.

*** تنبيه:**

مما يحسن في هذا المقام التنبيه على بعض أحكام القبور:

فمن ذلك أنَّ السنة في القَبر أن يرفع عن الأرض قدر شبر، وأن يجعل مُسَنَّمًا لا مُسطَّحًا؛ لما روى البخاري عن سفيان التمار، أنه حدثه: «أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنمًا».

ولا يُمَيَّز القبر بالكتابة، أو بالتجصيص، أو وضع الرخام، أو البناء عليه.

أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يبنى عليه»(١).

وأخرج مسلم عن ثمامة بن شفي، قال: كنا مع فضالة بن عبيد رضي الله عنه بأرض الروم «برودس»، فتُوفِّي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فَسُوِّي، ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها»(٢).

وأخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألَّا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته»(٣).

قال النووي رحمه الله «قال الشافعي والأصحاب: يكره أن يجصَّص القبر، وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبني عليه، وهذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالك، وأحمد، وداود، وجماهير العلماء»(٤).

قال ابن القيم رحمه الله «ونهى [ﷺ] عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء».

ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود والترمذي في سننهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب

(١) مسلم (٩٧٠).
(٢) مسلم (٩٦٨).
(٣) مسلم (٩٦٩).
(٤) «المجموع» (٥/ ٢٩٨).

عليها»...، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

ونهى أن يزاد عليها غير ترابها، كما روى أبو داود من حديث جابر أيضاً: أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه»، وهؤلاء يزيدون عليه - سوى التراب - الآجر والأحجار والجص.

ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبنى القبر بأجر، وأوصى ألَّا يفعل ذلك بقبره.

وأوصى الأسود بن يزيد: «أن لا تجعلوا على قبري آجرًا».

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون الآجُرَّ على قبورهم».

وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة: «أن لا تضربوا على قبري فسطاطًا».

وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطًا.

والمقصود: أنَّ هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب؛ مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ»[1].

وقال ابن الحاج المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ «وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم، وهي جعل الرخام على القبور، وهي بدعة، وسرف، وإضاعة مال، وفخر، وخيلاء، وكذلك كل ما حواليه.

وليحذر من أن يجعل على القبر ألواحًا من خشب ...وكذلك يحذر

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٩٦).

من أن يجعل عليه درابزين، إذ إنَّ هذا كله من البدع المكروهة في الشرع الشريف.

وقد تقدم صفة القبر على السنة، فكل ما خالفها فهو بدعة مكروهة وإضاعة مال وفخر وخيلاء كما تقدم.

وليحذر مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت، وتاريخ موته على القبر، سواء كان ذلك عند رأس الميت في الحجر المُعلَّم به قبره - وإن كان الحجر من السُّنة على الصفة المتقدمة - أو كان النقش على البناء الذي اعتادوه على القبر مع كون البناء على القبر ممنوعًا - كما تقدم - أو كان في بلاطة منقوشة، أو في لوح من خشب، وأشد من ذلك أن يكون على عمود كان رخامًا أو غيره، والرخام أشد كراهة، وكذلك لو كان العمود من خشب فيمنع أيضًا»[1].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ «ومِنْ رَفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أوليًا: القُبَبُ والمشاهدُ المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك.

وكم قد سَرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام؛ منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفَّار للأصنام، وعَظُم ذلك فظنوا أنَّها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرِّحال، وتمسحوا بها واستغاثوا.

(١) «المدخل» (٣/ ٢٧٢).

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالمًا، ولا متعلمًا، ولا أميرًا، ولا وزيرًا، ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء المقبورين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يَمينٌ من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ وأبى، واعترف بالحق!

وهذا من أبين الأدلة الدَّالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه - تعالى - ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة!!

فيا علماء الدِّين ويا ملوك المسلمين، أيُّ رزء للإسلام أشد من الكفر، وأيُّ بلاء لهذا الدِّين أضر عليه من عبادة غير الله؟»[1].

ومن مفاخر المملكة العربية السعودية: ما تقوم به من حماية التَّوحيد، ومحاربة الشرك ووسائله وصوره، ومن أعظم تلك الوسائل والصور: إزالة القباب والمشاهد المحرمة التي كانت في مقبرة البقيع خاصة، وغيرها من المقابر في أنحاء المملكة كلها.

وإنَّ من نعم الله على أهل الإسلام: هذه البلاد المباركة التي قامت على حماية التوحيد الذي جاءت به الرسل، وإزالة الشرك من أرضها، فلا ترى فيها - ولله الحمد والمِنَّة - قبرًا يعبد، ولا ضريحًا بنيت عليه قُبَّة، ولا مَسجدًا به قبر، ولا ترى فيها مظهرًا من مظاهر الشرك، بل لا يصل إلى ولاة الأمر بخبر وجود قبر يُتردد إليه، أو بئر أو شجر يتبرك بها، أو غير ذلك؛ إلا ويزال.

(١) «نيل الأوطار شرح منقى الأخبار» (٤/ ١٠٢).

قال الشيخ محمد المعصومي - وهو من علماء بُخارى -: «لما تشرفت بمكة المكرمة سنة (١٣٥٣هـ) انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا - ولما شهدتُ توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سرورًا؛ لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف[(١)]، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضرِّ الأشياء على عقيدة المسلمين».

٤- مقبرة شهداء أحد:

وهي من الأماكن التي يستحب زيارتها للقادم للمدينة المنورة، وهي أحد معالم المدينة، وتقع شمال المسجد النبوي، بجوار جبل أُحد.

وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ زارهم[(٢)]، فيستحب لمن نزل المدينة أن

---

(١) تكلّم الرحّالة ابن جبير في «رحلته» (ص٧٨) عند مروره بمكة سنة ٥٧٨ هـ، عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامةً الشافعيُّ، ويصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي - وصلاته مع المالكي في حينٍ واحدٍ - وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذنٍ مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس»، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «سنن الترمذي» (ط١٣٥٧هـ): «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرَ ذلك، إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (حفظه الله)، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو أن يوفّق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء». (١/ ٤٣٢).

(٢) أخرج البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين، كالمودع للأحياء والأموات». =

يزور تلك المقبرة، ويسلم على من فيها من الصحابة ﷺ، ويدعو لهم، كما يفعل في مقابر المسلمين الأخرى، وليس المقصود دعاءهم، أو الاستغاثة بهم، أو اعتقاد أنَّ دعاء الله في ذلك الموطن هو أحرى بالإجابة.

وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنَّه تضم سبعين من الصحابة الكرام الذين استشهدوا في غزوة أُحد، ومنهم[1]:

١- عمُّ النبي ﷺ: حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

٢- حنظله بن أبي عامر ﷺ.

٣- مصعب بن عمير ﷺ.

٤- عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ.

٥- عمرو بن الجموح ﷺ.

٦- خارجة بن زيد ﷺ.

٧- سعد بن ربيع ﷺ.

٨- النعمان بن مالك ﷺ.

٩- عبدة بن الحسحاس ﷺ.

= وأخرج أحمد (١٣٨٧)، وأبو داود (٢٠٤٣) - بسند صحيح - عن طلحة بن عبد الله ﷺ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حَرَّة وَاقِم فلمَّا تدلَّينا منها، وإذا قبور بِمَحْنِيَّة، قال: قلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: «**قُبُوْرُ أَصْحَابِنَا**»، فلما جِئنا قبور الشهداء، قال: «**هَذِهِ قُبُوْرُ إِخْوَانِنَا**». وصححه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢٤٥). وحرَّة واقم: هي حَرَّة المدينة الشرقية. وقوله: (بِمَحْنِيَّة) هو حيث ينعطف الوادي، وهو منحناه أيضًا، ومحاني الوادي: معاطفه .**ينظر**: «الصحاح» (٦/ ٢٣٢١).

(١) ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٢٢).

١٠- مالك بن سنان رضي الله عنه.

١١- شماس بن عثمان المخزومي رضي الله عنه.

١٢- سهل بن قيس رضي الله عنه.

١٣- عمرو بن معاذ رضي الله عنه.

١٤- عبد الله بن جبير بن النعمان رضي الله عنه.

١٥- عمرو بن معاذ بن النعمان رضي الله عنه.

١٦- الحارث بن أنس بن رافع رضي الله عنه.

١٧- عمارة بن زياد بن السكن رضي الله عنه.

١٨- سلمة بن ثابت بن وقش رضي الله عنه.

١٩- عمرو بن ثابت بن وقش رضي الله عنه.

٢٠- رفاعة بن وقش رضي الله عنه.

٢١- اليمان أبو حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قتله المسلمون خطأ.

٢٢- صيفي بن قيظي رضي الله عنه.

٢٣- الحباب بن قيظي رضي الله عنه.

٢٤- عباد بن سهل رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «ويستحب أيضًا زيارة قبور أهل البقيع، وشهداء أحد؛ للدَّعاء لهم والاستغفار؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يقصد ذلك»[(١)].

قال العلامة محمد العثيمين رحمه الله «وإن أحب أن يأتي أُحُدًا، ويتذكر

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٧١).

ما جرى للنبي ﷺ وأصحابه في تلك الغزوة من جهاد وابتلاء وتمحيص وشهادة، ثم يسلِّم على الشهداء هناك؛ مثل: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، عمِّ النبي ﷺ فلا بأس بذلك، فإن هذا قد يكون من السَّير في الأرض المأمور به»[(١)].

٥- مسجد قباء:

وهو أول مسجد بني في الإسلام كما تقدم، ويقع في جنوب المدينة، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي (٥ كم)، ويستحب زيارته والصلاة فيه لمن كان بالمدينة.

وكان لهذا المسجد منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، فكان يخصه بالزيارة كل أسبوع.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي مسجدَ قباء كلَّ سبتٍ ماشيًا وراكبًا»[(٢)].

بل رتَّب ﷺ على زيارته الأجر الوفير بالعمل اليسير.

فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِيْ بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيْهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ**»[(٣)].

وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه - مع مسجد رسول الله ﷺ - إلا مسجد قباء.

---

(١) «المنهج لمريد العمرة والحج» (ص٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٣)، ومسلم (١٣٩٩)

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩٨٠)، والنسائي (٧٨٠)، وابن ماجه (١٤١٢)، واللفظ له، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٨٧).

وأما سائر المساجد في المدينة فلها حكم المساجد الأخرى، فلم يخصها النبي ﷺ بشيء[١].

وبهذا يعلم أن الأماكن التي يستحب شرعًا زيارتها في المدينة خمسة مواضع اتباعًا لسنته ﷺ.

قال ابن وضاح رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قُباء وأحد... فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين؛ فقد قال بعض من مضى: كم مِن أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرًا عند من مضى، ومُتَحبَّب إليه بما يبغضه عليه، ومتقرب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة»[٢].

(١) من المساجد التي يخصصها البعض بالزيارة: مسجد الغمامة، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وغيرها، فهذه لا يشرع زيارتها تعبدًا.

(٢) «البدع والنهي عنها» لابن وضَّاح (ص٨٨).

زيارة الأماكن التي لم يزرها النبي ﷺ

جماعُ الدِّين أمران[١]:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله تعالى، وهذا هو تحقيق شهادة ألا إله إلا الله.

والثاني: أن نعبده بما شرع وهذا هو تحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله.

فالعبادة لا تكون إلا لله ﷻ، فلا يصلي العبدُ إلا لله، ولا يصوم ولا يحج إلا لله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يحلف إلا بالله[٢].

وليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ، فلا يعبده بالأمور المبتدعة.

قال الشاطبي رحمه الله: «قد ثبت النقل بأنه لا يقرِّب إلى الله إلا العمل بما شرع، وعلى الوجه الذي شرع...، وأن البدع تحبط الأعمال»[٣].

---

(١) **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (١/ ٨٠)، «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص١١٨)، «معارج القبول» (٢/ ٥١١). «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة»

(٢) أخرج أحمد (٦٠٧٢)، والترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١) - بسند صحيح - من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»، قال ابن عبد البر رحمه الله: «لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيءٍ من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مُجتمعٌ عليه». «التمهيد» (١٤/ ٣٦٦).

(٣) «الاعتصام» (١/ ٢٠٧).

والبدعة: هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل[١].

قال النبي ﷺ: «**وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٢].

فقد أُمرنا بالاتباع ونهينا عن الابتداع، وذلك لكمال الدين الإسلامي، والاغتناء بما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ، وتلقاه أهل السنة والجماعة بالقبول، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وقال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٣].

وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[٤] ميزان للأعمال في باطنها.

فكما أنَّ كل عمل لا يراد به وجهَ الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ولا أجر، فكذلك كلُّ عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدِّين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدِّين في شيء، بل هو زيادة على ما شرعه الله ﷻ ورسوله ﷺ.

قال ابن حجر رحمه الله في تعليقه على حديث: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإنَّ معناه: من اخترع في الدِّين ما لا يشهد له أصل من

---

(١) **ينظر**: «الاعتصام» (١/ ٥٩)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٢)، «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٢٨)، «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٧٧)، ومسلم (٨٦٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

أصوله فلا يلتفت إليه»[(١)].

إذا تبين لك ذلك: فإنَّ هناك أماكنَ يقصدها بعض الزوار ليس لزيارتها أصلٌ شرعي، وتَشغل الزَّائر عن المقصد الأساس لمِقْدَمِه لمدينة رسول الله ﷺ، وهو الإكثار من الصلاة في مسجده، ولزومه، وذكر الله فيه، مع الاستفادة مِمَّا يعقد فيها من حِلق العلم والذكر.

فهذه الأماكن إن قصدها الزائر تقرُّبًا إلى الله، واعتقاد أن زيارتها من دين الله، فلا شك أنه لم يُصب في ذلك، بل زاد في دين الله ما لم يأتِ به النبي ﷺ، وليست مما يقرب إلى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ؛ لأنَّ محبة الله لا ينالها العبد إلا بصواب عمله، وصواب العمل لا يكون إلا بشرطين[(٢)]:

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

شرط قبول السعي أن يجتمعا فيه إصابة وإخلاص معًا
لله رب العرش لا سواه موافق الشرع الذي ارتضاه[(٣)]

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

---

(١) «فتح الباري» (٥/ ٣٠٣).

(٢) ينظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٨)، «الروح» (٢/ ٣٩٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٧٦)، «فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام» (٢/ ٥)،

(٣) «معارج القبول» (٢/ ٦٠٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يقل أكثر عملاً، بل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هُود: ٧]، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله ﷻ، على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فَقَد العمل واحدًا من هذين الشرطين حبط وبطل»(١).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، قال: «أخلصه وأصوبه»، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل؛ حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»(٢).

ومتابعة الرسول الله ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة: سببه، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وزمانه، ومكانه، فإذا لم توافق الشريعة في هذه الأمور الستة فهو باطل مردود، لأنه أحدث في دين الله ما ليس منه.(٣):

الأول: السَّبَب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي مردودة على صاحبها.

مثالها: رجل يُحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنَّها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ.

فالتهجد عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٢٤).
(٣) ينظر: «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» (ص٢١)، «شرح الأربعين النووية» (ص٩٨).

بَنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا. وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة.

ومن الأمثلة كذلك: المولد النبوي، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا عن القرون الفاضلة، بل لم يعرف إلا في القرن الرابع.

الثاني: الجِنْس، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة.

ومثال ذلك: أن يُضَحِّي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

الثالث: القَدْر، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القَدْر، ومن باب أولى لو أنَّ الإنسان صلَّى الظهر مثلًا خمسًا، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفيَّة، فلو أن رجلًا توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثمَّ مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوؤك باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزَّمَان، فلو أنَّ رجلًا ضَحَّى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان.

السادس: المَكَان، فلو أن رجلًا اعتكف في غير مسجد، فإنَّ اعتكافه لا يصح، وذلك لأنَّ الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو

قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مُصلَّى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان .

لذا: فليسأل الزائر نفسه قبل أن يُقدم على ذلك، هل هذا العمل مما يحبه الله ورسوله وشرعاه، أم لا؟

وعليه: فهذه الأماكن إن قصدها معتقدًا فضيلتها؛ فلا شك أنه لم يُصب في ذلك، بل زاد في دين الله ما لم يأتِ به النبي ﷺ؛ وهذه الزيارة ليست مما يُقرِّب إلى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ.

وأمَّا إن كانت الزيارة لأجل التَّعرف على الأماكن التأريخية في المدينة، فإنَّ هذا مباح في الجملة، وقد يكون من السَّير في الأرض المأمور به، بشرط ألا يصاحبها مظهر من مظاهر التعظيم، أو المشقة على النَّفس بصعود شاهق، أو تكلف سفر بعيد، وألَّا تكون مُشغِلة لزائر المدينة النبوية عن المقصد الأساس لزيارته بكثرة الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والانشغال بالطاعات فيه.

تاريخ عمارة المسجد النبوي وتوسعاته[١]

قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم: «بنو عمرو بن عوف»، فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أمر ببناء المسجد بعد أن اشترى حائطًا من بني النجار، فيه قبور المشركين، وفيه خرب، ونخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطِّع، فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة[٢]، وكانت مساحته سبعين ذراعًا في ستين ذراعًا من الجنوب إلى الشمال.

ثم زاد النبي ﷺ فيه أربعين ذراعًا في العرض وثلاثين في الطول بعد غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، فصار المسجد مربَّعًا: مائة ذراع في مائة ذراع من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق والغرب.

ثم زاد في المسجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٧هـ، خمسة أمتار في الغرب، فصارت مساحة المسجد طولاً من الجنوب إلى الشمال مائة وأربعين ذراعًا، وعرضه من الشرق إلى الغرب مائة وعشرين ذراعًا.

---

(١) **ينظر**: «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»، «مجلة الجامعة الإسلامية» العدد [٤٦]، «عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه وحتى العهد المملوكي»، «عمارة المسجد النبوي في العهد المملوكي»، «عمارة المسجد النبوي - دراسة جديدة»، «تاريخ المسجد النبوي الشريف».

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

ثم زاد فيه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ رواقًا في القبلة حتى بلغ جداره اليوم الغرب والشمال، وجعل طوله مائة وستين ذراعًا، وعرضه مائة وخمسين ذراعًا.

ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان وأدخل فيه حُجرات أمهات المؤمنين بعد أن هدمها، وكانت زيادته في الشرق والغرب والشمال، فبلغت مساحة المسجد بعد زيادة الوليد مائتي ذراع طولاً، وعرضه في المقدمة مائتي ذراع، وفي المؤخرة مائة وثمانين ذراعًا.

وفي سنة ١٦١ هـ زاد في المسجد محمد المهدي العباسي في الجهة الشمالية فقط، فصار طوله ثلاثمائة ذراع وعرضه مائة وثمانين ذراعًا.

واحترق المسجد النبوي الشريف في عهد الخليفة المستعصم سنة ٦٥٤هـ، ولمَّا علم الخليفة بذلك رغب بإصلاح المسجد وإعادة إعماره، وأرسل الأموال اللازمة لذلك، ولكن البناء لم يتم بسبب غزو التتار وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

فتولَّى الأمر بعد ذلك السلاطين المماليك في مصر، فتمت عملية البناء والترميم سنة ٦٦١هـ، وعاد المسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق.

ثم احترق المسجد النبوي مرة أخرى سنة ٨٨٦هـ، فرفع الأمر للسلطان قايتباي، فأرسل بالأموال والصناع والمواد اللازمة، وأمر بإعمار المسجد، وقد امتدت العمارة حتى رمضان من سنة ٨٨٨ هـ.

وظل المسجد على حاله حتى عام ١٢٦٥هـ، عندما ظهرت تشققاتٌ على بعض جدرانه وقبابه وسقفه، فكتب شيخ الحرم إلى السلطان عبد

المجيد، الذي أمر بتجديد عمارة المسجد بكامله، واستمرت أعمال البناء والزخرفة إلى عام ١٢٧٧هـ.

وبعد أن ضمَّ الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ الحجاز إلى مُلكه، واستتبَّ الأمن في الحرمين الشريفين، وأصبح الوصول إليهما آمنًا[١]، كثر عدد الحجاج والمعتمرين والزائرين، فضاق بهم المسجد النبوي الشريف، فضلاً عن ظهور تصدعات جديدة في جدرانه وأعمدته، فأعلن في بيان للعالم الإسلامي عزمه على عمارة المسجد النبوي الشريف وكان ذلك عام ١٣٦٨هـ.

ثم توالى أبناؤه الملوك من بعده في الاهتمام بعمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته، وزيارته كل عام وتفقد أحواله.

---

(١) كانت الحياة في جزيرة العرب قبل توحيدها على يد الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ مأساة حقيقية بسبب فقد الأمن، وحسبك أن تعلم أنَّ كل بلدة لها سور تتسور به من أعدائها الذين هم جيرانها وقد يكونوا أبناء عمومتهم! وكان السفر والتنقل بين الديار وخاصَّة لمكة والمدينة من إلقاء النفس إلى التهلكة بسبب قطَّاع الطرق الذي يجوسون الديار، ويتربصون بأصحاب القوافل شرًا لسلبهم ونهبهم! فأبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد فقرهم غنى، وبعد تشرذمهم اجتماعًا، وبعد تنافرهم محبة، وبعد حربهم سلمًا. فلله الحمد من قبل ومن بعد، ورحم الله الملك المؤسس، وجزاه خير الجزاء.

قال الأمير شكيب أرسلان: «حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابها ليلاً، ولا يفتحونها لأي طارق خِيفَة الغِيلة، وحذراً من سطو اللصوص، حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة، وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم.

وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كلُّ إنسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئاً ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة، وكثيراً ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارعة الطريق وتبقى أياماً وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها ولا يتجرأ أحد أن ينظر إليها». «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» (ص١٨٧)

عناية المملكة العربية السعودية بالمسجد النبوي

أسس الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكيان العظيم - المملكة العربية السعودية - على الكتاب والسنة، وجعلهما مصدر التشريع والتحاكم والتقاضي فيها، فكانت دولة إسلامية عصرية، تأخذ بأسباب التقدم مع الاستمساك بأصولها التي قامت عليها.

وكان من أهمِّ أولوياته رَحِمَهُ اللَّهُ العناية والاهتمام بمكة المكرمة والمدينة المنورة، فتبنَّى رَحِمَهُ اللَّهُ منهجًا واضحًا سار عليه في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وسار على ذلك أبناؤه البررة من بعده، باذلين قصارى الجهد في خدمتها وتطويرها، وتيسير سبل الحياة فيها، وتسهيل قدوم المسلمين إليها من كل أصقاع الأرض، وتوفير مقتضيات الأمن والسلامة لهم، وعمارة المسجدين بما يليق بهما حسًا ومَعْنًا.

لقد جعل ولاة أمر هذه البلاد المباركة خدمة الحرمين الشريفين أعظم مقاصدهم، وأجل مطالبهم، وكان التنصيص على إعمارهما وخدمتهما وتوفير الأمن لقاصدهما أحد مواد النظام الأساسي للحكم في هذه البلاد[1]، وأقوالهم وأفعالهم تنطق بأنهم يتشرفون بخدمة هاتين

(١) نصَّت المادة الرابعة والعشرون من النظام الأساسي للحكم - وهو يقابل الدستور في الدول الأخرى - على ما يلي: «تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين، وخدمتهما، وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة»

المدينتين المقدستين[١].

وهذا الأمر نابع من عقيدة راسخة تلقاها ملوك هذه البلاد من الملك المؤسس رَحِمَهُ اللَّهُ، في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وصيانتهما من كل ما يشوب صفو مرتاديهما في دينهم وأمنهم، ويعكِّر عليهم روحانيتهم فيها.

وأعظم روحانية يجدها قاصدهما أنه يجد راية التوحيد قائمة، فلا يجد الزائر لهاتين المدينتين المقدستين مظهرًا من مظاهر الشرك أو البدع فيهما، ولله الحمد.

كما أنَّ من دخلهما شَعَرَ بأمنٍ وأمانٍ، مما يفرِّغه لما أتى من أجله من العبادة والتأله لله جَلَّ وَعَلَا.

والمسجد النبوي الشريف قد حظي - ولا زال - بعناية فائقة واهتمام بالغ من ولاة أمر هذه البلاد، منذ توحيدها على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، ومرورًا بأبنائه الملوك الذين تقلدوا مقاليد الأمور في المملكة العربية السعودية: سعود، ثم فيصل، ثم خالد، ثم فهد، ثم عبد الله رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وإلى هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أعزه الله ونصره - كلهم تعاقبوا على البذل بسخاء لخدمة هذا المسجد الشريف،

---

(١) قال خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أيده الله وأعزَّه - في حفل افتتاح بعض المشاريع في المدينة المنورة: «يشرفني دائماً ومن كان من قبلي من إخوتي ومن والدنا عبد العزيز أن نكون خُدامًا للحرمين الشريفين، نحن وشعبنا في بلادنا كُلنا خُدام للحرمين الشريفين». «جريدة أم القرى» [العدد ٤٦٩٨] بتاريخ ٢١/ ٢/ ١٤٣٩هـ.

وتوسيع مساحته، وتزويده بمختلف الخدمات التي تليق به، وتسهل على المصلين والزوار ما قدموا من أجله من الطاعات.

وقد كان من أولويات الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ توسعة المسجد النبوي الشريف، وأعلن ذلك في خطاب رسمي عام ١٣٦٨هـ عن عزمه على توسعته، ومنذ ذلك الحين وقادة هذه البلاد يتعاهدون المسجد النبوي الشريف بالعناية والتوسعة فكانت التوسعة الأولى والثانية والثالثة؛ فنسأل الله أن يضاعف لهم الأجر، وأن يبارك في أعمالهم، وأن يوفقهم لكل خير.

ويواصل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - حفظه الله - هذه المسيرة العطرة في الاهتمام بالحرمين الشريفين، وخدمة الحجَّاج، وزوار المسجدين الشريفين، ففي كل محفل يؤكد - أيده الله - أهمية الحرص على متابعة العمل في مشروعات التوسعة بالحرمين الشريفين التي تصب جميعها في خدمة الإسلام والمسلمين، لاسيما حجاج بيت الله الحرام، وزوار مدينة الرسول ﷺ، وتقديم الرعاية التامة لهما.

ولم تقتصر رعاية المسجد النبوي الشريف على جانب العمارة الحسية فقط، بل إنَّ عمارة المسجد النبوي الشريف معنويًا بحلق القرآن والتحفيظ وتعليم العلوم الشرعية مما يبهج قلوب أهل الإسلام، فينعم الزائر بالطمأنينة والأمان، وتعلم ما ينفعه في دينه من توحيد وعبادات.

كما أن رعاية المسجد النبوي الشريف في جانب النظافة أمر لا تخطئه العين، ويكفي أن يُعلم أن من يقوم على نظافة وصيانة هذا

المسجد الشريف يزيد على ألف وخمسمائة عامل[١]؛ ليكون هذا المسجد النبوي الشريف في أعلى مقامات النظافة الحِسَّية؛ ولتتفرغ للعبادة والصلاة التي شَدَدَّت الرِّحال من أجلها.

(١) تصريح مدير إدارة النظافة والسجاد بالمسجد النبوي الشريف في جريدة الجزيرة، بتاريخ (٥/ ٩/ ١٤٣٧هـ).

وصايا عامَّة

وهذه ست وصايا أختم بها:

الوصية الأولى: إنَّ أعظم الوصايا وأجلها: الوصية بتقوى الله ﷻ، فهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ١٣١].

وحقيقة التقوى: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله[(١)].

«فكل مَن تدبر موارد التقوى في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام علم أنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة... فالتقوى رأس كل خير، ومفتاح كل خير، وسبب كل خير في الدنيا والآخرة، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها، فالتقوى هي سبب السعادة والنجاة وتفريج الكروب والعز والنصر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣]، قال بعض السلف: هذه الآية أجمع آية في كتاب

(١) **ينظر**: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١). قال الذهبي رحمه الله معلقًا: «فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية، فقد فاز».

الله، أو قال: من أجمع آية في كتاب الله، وما ذاك إلا لأن الله رتب عليها خير الدنيا والآخرة، فمن اتقى الله جعل له مخرجًا من مضائق الدنيا ومضائق الآخرة، والإنسان في أشد الحاجة، بل في أشد الضرورة إلى الأسباب التي تخلِّصه من المضائق في الدنيا والآخرة، ولكنه في الآخرة أشد حاجة وأعظم ضرورة، وأعظم الكربات وأعظم المضائق كربات يوم القيامة، وشدائدها، فمن اتقى الله في هذه الدار فرَّج الله عنه كربات يوم القيامة، وفاز بالسعادة والنجاة في ذلك اليوم العظيم العصيب، فمن وقع في كربة من الكربات فعليه أن يتقي الله في جميع الأمور؛ حتى يفوز بالفرج والتيسير، فالتقوى باب لتفريج كربة العسر، وكربة الفقر، وكربة الظلم، وكربة الجهل، وكربة السيئات والمعاصي، وكربة الشرك والكفر إلى غير ذلك»[(١)].

الوصية الثانية: قد حضرت - يا عبد الله - إلى هذه المدينة المباركة من بلاد بعيدة، وتحمَّلت مشقة السفر، وأنفقت الأموال الكثيرة تبتغي الأجر والثواب من الله تعالى، فحافظ على أوقاتك، واشْغلها بالعبادة والتقرب إلى الله ﷻ وخاصة بالصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والذكر، والدعاء، والاستغفار، والصدقة، وغير ذلك من أنواع العبادات والقربات، وحافظ على صلاة الجماعة في المساجد، فصلاة الجماعة تزيد على صلاة المنفرد أضعافًا كثيرة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»[(٢)].

---

(١) من كلام سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله بتصرف، ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥) ومسلم (٦٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ثم اعْرف لمدينة رسول الله ﷺ حقَّها، فإن تعظيمها من تعظيم رسول الله ﷺ[(١)]، فليكن الأدب فيها قرينك، وإياك ظلم نفسك بالمعاصي أو ظلم غيرك من عباد الله بتجاوزحقوقهم.

الوصية الثالثة: إنَّ محبَّة رسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه عبادةٌ يتقرب بها إلى الله ﷻ، وهذه المحبة إيمان، وهي تكون بالقلب واللسان والجوارح:

فمحبته بالقلب تقتضي تقديم محبَّته ﷺ على النَّفس والوالد والأهل والولد وجميع الخلق، كما قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِه، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين**»[(٢)].

وتقتضي استشعار هيبته، والشوق لرؤيته، وحُبُّ ما يُحِبُّ ومَن يُحب، وكُرْه ما يكره ومَنْ يكره، ومعرفة سيرته ﷺ، وتدبرها.

ومحبته باللسان تعني: التأدُّب عند ذكره ﷺ، فلا يذكر باسمه مجردًا، بل يُوصف بالنبوَّة أو الرسالة فقد وصف الرسول ﷺ من لا يصلِّي عليه عند ذكره بالبخيل[(٣)].

ومن ذلك: كثرة الصَّلاة عليه، وترديد الأذكار والأدعية التي قالها ﷺ، ونشر سنته، وتعليمها للناس، وتذكيرهم بحقوقه ﷺ.

ومحبته بالجوارح تعني: العمل بسنته، والاقتداء والاهتداء بهديه ظاهرًا وباطنًا.

---

(١) **ينظر**: «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤)، واللفظ له.

(٣) أخرج أحمد (٢٥٨)، والترمذي (٣٥٤٦) والنسائي (٩٨٠٢) - بإسناد صحيح - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيّ**». ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ذلك: أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن حقه أنه يجب أن يؤثره العطشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يُوقَّى بالأنفس والأموال، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ومن حقه أن يكون أحبَّ إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق، كما دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] مع الأحاديث الصحيحة المشهورة كما في الصحيح من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «**لا يَا عُمَر حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» قال: فأنت والله يا رسول الله أحب إلي من نفسي، قال: «**الآنَ يَا عُمَر**»(١).

ومن ذلك: أن الله أمر بتعزيره وتوقيره فقال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، والتَّعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتَّوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢)

ومن ذلك: أنه حرَّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرَّم رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجلُ للرجل، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل.

ومن ذلك: أنه حرَّم على الأمَّة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضًا تمييزًا له؛ مثل نكاح أزواجه من بعده، وأوجب على الأمَّة لأجله احترام أزواجه وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام.

ومن كرامته المتعلقة بالقول: أنه فرق بين أذاه وأذى المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، ولا تصحُّ للأمة خُطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خُطبة، وفي الشَّهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع»[1] ﷺ.

وحُرْمته ﷺ وتوقيره وتعظيمه مستمر بعد موته ﷺ عند ذكره، وسماع حديثه.

قال أبو إبراهيم التَّجِيبي: «واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقَّر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٣/ ٨٠١) بتصرف.

وإجلاله؛ بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به،... وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح، وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم»[(١)].

الوصية الرابعة: إنَّ تعظيم رسول الله ﷺ من شعب الإيمان العظيمة، وهي منزلة فوق منزلة المحبة، وهي من الأمور التي يُتعبَّد بها لله ﷻ.

والعبادة - كما قدمنا - مبناها على أمرين: إخلاص العبادة لله ﷻ، وألا يُعبد إلا بما شرع، وهذا هو حقيقة شهادة التوحيد: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فكلُّ تعظيم لم يأتِ به الشارع فليس من التعظيم المشروع، وإنما هو إحداث في الدِّين بما لم يأذن الله به.

وأعظم صور تعظيم الرسول ﷺ المشروعة: اتِّباعه بما جاء به من توحيد الله ﷻ، وصرف العبادة كلها لله ﷻ، والعمل بسنته في دقيق الأمور وجليلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن الله، وطاعتهم فيما أمروا به، ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم، لا التكذيب بما أرسلوا به، والإشراك بهم، والغلو فيهم، بل هذا كفر بهم وطعن فيهم ومعاداة لهم»[(٢)].

---

(١) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٤٠).

(٢) «الرد على الأخنائي» (ص١٢٢). والغلو: هو مجاورة الحدِّ في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به، والمقصود به هاهنا: الإفراط في تعظيم الصالحين بالقول والاعتقاد، وهو أصل الشرك في القديم والحديث، بل هو سبب أول شرك وقع في الأرض، كما أخرج البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نُوح: ٢٣]، قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها =

ومن ذلك: اعتقاد تفرد الله ﷻ بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

ومن أقرَّ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا نافع إلا الله: وجب عليه أن يقرَّ أن العبادة - بجميع أنواعها - لا تكون إلا لله ﷻ، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرَّب القرابين إلا له ﷻ.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

وصفاته ﷻ لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى عن النِّدِّ والنَّظير.

ومن ذلك: معرفة هديه ﷺ في العبادات ليقيمها المسلم على الوجه المشروع، فيعرف أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج، وما يحتاجه من أحكام المعاملات، وجماع ذلك تعلم العلم النافع.

= بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت». ومن صور الغلو في الصالحين: وضع التماثيل لهم، واتخاذ قبورهم مساجد، والبناء على قبورهم، وإسراجها بالسرج والقناديل، وغير ذلك من الصور.

فليس من محبته وتوقيره ﷺ: الغُلوُّ فيه برفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، وهو القائل: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**».

وهذا الغلو يوجد شيء منه في أشعار المادِحين لسيد المرسلين ﷺ، الذين جاوزوا الحدَّ في مدحه ﷺ، وعصوه في نهيه من الغلو فيه، وإطرائه كما أطرت النصارى ابن مريم، وصار حظهم منه ﷺ هو مدحه بالأشعار والقصائد، والغلو الزائد، مع عصيانهم له في أمره ونهيه، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات الله عليه وسلامه.

وليس من محبته وتوقيره ﷺ: الحَلِف به، فكيف بغيره من المخلوقين؟!

ومن ذلك: معرفة الرجل حقوق زوجه وأولاده عليه، فيقوم على رعايتهم، والاهتمام بهم، وتربيتهم التربية المثلى، وهي مسؤولية عظيمة سيسأل عنها الوالد، كما قال ﷺ: «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١)، أي أن كل أحد سيقف بين يدي الله تعالى ويسأل عن هذه الرعية التي استرعاه الله تعالى عليها، حفظها، أم ضيعها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم...، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنَّما جاء فسادهم من قِبَل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدِّين وسننه فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا»(٢).

الوصية الخامسة: معرفة حقوق ولاة الأمر، والعمل بمقتضياتها، فإنه لا قيام للدِّين ولا للدنيا إلا بتنصيب الإمام وتوليته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب أن يعرف النَّاس أنَّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها»(٣).

وقد نهى اللهُ ﷻ عن التفرُّقِ والاختلاف، وأَمَر بالاجتماع والائتلاف، على طاعةِ الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).
(٢) «تحفة المودود» (ص٢٢٩).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠).

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

ولا اجتماعَ إلا بإمامة، ولا إمامةَ إلا بسَمْعٍ وطاعة.(١)

فالسمع والطاعة في غير معصية من أعظم حقوق ولاة الأمر، وذلك أنَّ استقرار الحكم، واتفاق الكلمة واجتماع القلوب هي في طاعتهم في المعروف.

أخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».(٢)

قال ابن حجر ﷺ: «والمراد أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم».(٣)

فطاعة ولي الأمر، وترك منازعته، طريقة أهل السنة والجماعة، وهذا هو فصل النّزاع بين أهل السنة، وبين الخوارج.

وإذا تأملت في كل فتنة تقع في المجتمعات؛ فستجدها بسبب الخروج على ولي الأمر، وما من خروج على ولي الأمر إلا وقد أحدث

---

(١) ومما ينبه عليه في هذا المقام: أنَّه لا يجوز مبايعة غير الإمام الأعظم، وما تحدثه بعض الفرق والجماعات السياسية من مبايعتهم لمرشدٍ لهم أو قائد، أو شخص يزعمون أنه خليفة لهم، فهو يناقض البيعة الشرعية ولا يجوز، وهذا مما حرمته الشريعة، وهذا من شق العصا، وسببٌ لإيجاد الفتنة والشر والضلال، فلا يجوز أن تتعدد البيعات.

(٢) البخاري (٧١٩٩)، مسلم (١٧٤٩).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٨).

من الفتن والشرور مالا يقارن بما يُتوقع من حصول مصلحة إذا تحقق شيء من ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر، أعظم مما تولَّد من الخير».(١)

ومن حقوق ولي الأمر: النصحُ له بالشروط الشرعية المعتبرة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن النَّصيحة لهم الصلاةُ خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأنْ يُدعى لهم بالصلاح».(٢)

وليس من النصيحة ما يفعله بعض الناس من التشهير بالكلام في الولاة في المنابر، أو في الكتابة في الصحف، أو بالتحدث في المجالس، أو بالنشر في وسائل التواصل الاجتماعي! كل ذلك ليس من سبل النصيحة الشرعية، إنما النصيحة الشرعية للإمام أن تكون بينك وبينه بالسرِّ لا بالعلانية، فلابد أن يُحفظ مقام الإمام، وألا تُذكر الأخطاء أمام عامة الناس.

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٥٢٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٣٨).

قيل لأسامة بن زيد ﷺ: «ألا تدخل على عثمان فتكلمه»؟! فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أُسمِعُكُم!! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه».[١] وفي رواية: «إنكم لترون أني لا أكلمه؛ إلا أسمعكم! إني أكلمه في السِّر».[٢]

وإذا تأملت في كل فتنة تقع في المجتمعات؛ فستجدها بسبب الخروج على ولي الأمر، وما من خروج على ولي الأمر إلا وقد أحدث من الفتن والشرور مالا يقارن بما يُتوقع من حصول مصلحة إذا تحقق شيء من ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر، أعظم مما تولَّد من الخير».[٣]

قال الإمام ابن المبارك رحمه الله:

اللهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً عَنْ دِيْنِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا
لَوْلَا الأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْباً لأَقْوَانَا[٤]

الوصية السادسة: إنَّ من توقيره ﷺ معرفة حقِّ آل بيته وعترته وحق صحابته رضي الله عنهم، فمن توقيره ﷺ موالاة آله وعترته وأهل بيته المؤمنين، ومحبتهم بما ورد في الشَّرع، فلا إفراط ولا تفريط، فعقيدتنا - ولله الحمد - وسطٌ بين الإفراط والتَّفريط، والغلُوِّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك ما نعتقده في آل بيت الرَّسول ﷺ، وفي صحابته الكرام رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٧).
(٣) «منهاج السنة» (٤/ ٥٢٧).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٤).

فإنَّنا نتولَّى كلَّ مسلم ومسلمة من أهل البيت: أزواجه، وذريته، وبني هاشم، وبني المطلب، فنحبهم، ونتولاهم، وننزلهم منازلهم التي يستحقُّونها كما أمر الله، ومن ذلك أن نعرف الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان بالله ورسوله، وشرف الاتصال بالنسب النبوي الشريف.

فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولصُحبته لرسول الله ﷺ، ولقرابته منه ﷺ.

ومن أتى من منهم بعد عصر النبوة، وهو مؤمن، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولقرابته من رسول الله ﷺ.

ومن لم يُوَفَّق منهم للإيمان، فإنَّ شرف النَّسب لا يفيده شيئًا. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، وقال ﷺ: «**ومَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: «اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، ومن أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»(٢).

ومع هذه المحبة الواجبة: فإنَّنا لا نعتقد عصمتهم، بل هم بشرٌ تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم، كما لا نغالي في أوصافهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤٨٧) بتصرف يسير.

والقاعدة الكلية في هذا: ألا نعتقد أنَّ أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء الراشدون ومن دونهم يجوز عليهم الخطأ.

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرِط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، ولا نذكرهم إلا بخير، ونبغض من يكرههم بسوء، ونعتقد أن حبُّهم إيمان، وأن بغضهم نفاق.

ونعتقد أنَّ مِن الصحابة مَن هو أفضل ممن جمع بين الصحبة والقرابة، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين هم خير الصَّحابة على هذا الترتيب.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم ألف بين قلوبهم، واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأعذهم منها، ومن دعاتها.

اللهم وفِّقْ إمامَنا خادم الحرمين الشريفين لكل خير، وانصر به دينك وأعْلِ به كلمتك، اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه، واجمع به كلمة الأمة، ووحِّد به صفوفها على الخير، واجعله سببًا لحقن الدماء واجتماع القلوب، وشدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة، وفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**
* **الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، طبع على نفقة فاعل خير، ١٤١٠هـ.
* **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، للمقدسي، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٤١١هـ.
* **أحكام الجنائز**، الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦هـ.
* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.
* **الأدب المفرد** للبخاري، ط٣، دار البشائر، ١٤٠٩هـ.
* **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، شكيب أرسلان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٦هـ.
* **الاستذكار**، ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية.
* **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، تحقيق: علي معوض، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.
* **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٩هـ.
* **الاعتصام، الشاطبي**، تحقيق: محمد الشقير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.
* **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، مكتبة السنة المحمدية.

* **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، ط٢، ١٤١٩هـ.
* **إكمال المعلم بفوائد الإمام مسلم**، القاضي عياض، ط١، دار الوفاء، ١٤١٩هـ.
* **الأم**، للشافعي، دار المعرفة. (تصوير عن طبعة بولاق)
* **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، السيوطي، تحقيق: ذيب القحطاني، ط١، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ
* **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف**، لابن المنذر، تحقيق: صغير حنيف، ط١، دار طيبة، ١٤٠٥هـ.
* **الإيضاح في مناسك الحج والعمرة**، للنووي، دار البشائر، ط٢، ١٤١٤هـ.
* **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر، ١٤١٧هـ.
* **البدع والنهي عنها**، ابن وضاح القرطبي، تحقيق: عمرو سليم، ط١، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ.
* **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادى، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.
* **البلدان، ابن الفقيه**، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عال الكتب، ١٤١٦هـ
* **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ابن رشد، تحقيق: محمد حجي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
* **تاريخ المسجد النبوي الشريف**، محمد إلياس عبد الغني، ط١، ١٤١٦هـ.
* **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، السخاوي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.
* **التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة**، عبد العزيز ابن باز، ط٤، مطابع الحكومة، ١٣٨٤هـ.
* **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: حكمت بشير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٩هـ.

* **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
* **تفسير غريب ما في الصحيحين**، محمد بن نصر الحميدي، تحقيق: يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.
* **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب، ط٢.
* **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، سليمان آل الشيخ، ط١، المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ.
* **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين.
* **دلائل النبوة**، البيهقي، ط٣، دار الكتب العلمية.
* **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط١، المطبعة الرحمانية، ١٣٤٧هـ.
* **رحلة ابن جبير**، دار صادر.
* **الروح**، ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط١، عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.
* **الروض المعطار في خبر الأقطار**، الحميري، تحقيق: إحسان عباس، ط١، مؤسسة ناصر للطباعة، ١٩٨٠م.
* **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
* **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
* **السنة**، ابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.
* **السنن الكبرى**، البيهقي، ن: محمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
* **السنن الصغرى** (المجتبى) للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ
* **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
* **سيرة ابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا، ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ.
* **السيرة النبوية**، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ.
* **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٢٥هـ.
* **شرح معاني الآثار**، الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط١، عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
* **الشريعة**، الآجري، ت: عبد الله الدميجي، ط١، دار الوطن، ١٤٢٠هـ.
* **شعب الإيمان**، البيهقي، تحقيق: عبد العلي الحامد، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
* **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، ط١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
* **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، ط١، رمادي للنشر، ١٤١٧هـ.
* **الصحاح**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين. ١٤٠٧هـ.

* **صحيح ابن حبان** (بترتيب ابن بلبان)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
* **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: مصطفى الأعظمي، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.
* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.
* صحيح مسلم، دار التأصيل، ١٤٣٥هـ.
* **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، تحقيق: عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
* **طرح التثريب في شرح التقريب**، لزين الدين العراقي وابنه، تحقيق: محمد درويش، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٨هـ.
* **عمارة المسجد النبوي - دراسة جديدة**، محمد الحداد، ط١، الجمعية التاريخية السعودية، ١٤١٩هـ.
* **عمارة المسجد النبوي في العهد المملوكي**، محمد هزاع الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة.
* **عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه وحتى العهد المملوكي**، محمد هزاع الشمري، ط١، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
* **غريب الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ.
* **الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي، ط١، مكتبة البابي الحلبي.
* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.
* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن رجب، تحقيق: محمود شعبان وآخرين، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.
* **فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام**، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ١٤٢٤هـ.

* **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**، جمع وتحقيق: محمد صبحي حلاق، ط١، مكتبة الجيل.
* **فضل الصلاة على النبي** ﷺ، إسماعيل بن إسحاق، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.
* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
* **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، ط٣، مطبعة المنار، ١٣٤٥هـ
* **الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية** (النونية)، ابن القيم، ط١، عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ.
* **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الهرري، ط١، طوق النجاة، ١٤٣٠هـ.
* **لطائف المعارف**، ابن رجب، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.
* **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد [٤٦].
* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، ط١، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.
* **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمين**، جمع: محمد السليمان، ط١، دار الثريا.
* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
* **المجموع شرح المهذب**، للنووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد.
* **المخصص**، ابن سيده، تحقيق: خليل الجفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ.
* **المدخل**، ابن الحاج، دار التراث.
* **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الملا علي القاري، ط١، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

* **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
* **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين أسد، ط١، دار المغني، ١٤٢١هـ.
* **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي عياض، ط١، دار الكمال المتحدة، ١٤٣٧هـ.
* **المصنف**، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
* **المصنف**، عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
* **معارج القبول بشرح سلم الوصول**، حافظ الحكمي، ط١، المطبعة السلفية.
* **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، ط٢، دار صادر، ١٩٩٥م.
* **المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، ط١، دار الحرمين.
* **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.
* **المفهم لما أشكل من تلخيص الإمام مسلم**، القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وآخرين، ط١، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ.
* **منهاج السنة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.
* **المنهج لمريد العمرة والحج**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، مدار الوطن، ١٤٢٩هـ.
* **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، الشوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاق، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ.
* **هدى الساري مقدمة فتح الباري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية.
* **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، السمهودي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

فهرس الفوائد

مقدمة الطبعة الثانية، وفيها سبب إعادة الطباعة، والغرض من تأليفه ٧
تخصيص بعض الأماكن والمعالم وتفضيلها شأن إلهي ٩
حبُّ النبي ﷺ للمدينة ١٠
أهل المدينة بعد الهجرة سماهم الله الأنصار ١١
مدح النبي ﷺ للأنصار ودعاؤه لهم ولأبنائهم ولأبناء أبنائهم ١١
كانت قريش تسمى النبي ﷺ قبل البعثة الصادق الأمين ١٥
من أهل مكة من كان يعاف ما كانت عليه قريش من شرك ١٦
اعتزال النبي ﷺ في غار حراء كان أكثره في شهر رمضان ١٦
الصعود إلى الغار للتعبد لم يفعله النبي ﷺ بعد بعثته ولا أحد من صحابته ١٧
أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن الزبير وابن أم مكتوم رضي الله عنهما ١٨
تواضع النبي ﷺ وعدم معرفة الأنصار له عند وصوله المدينة ٢١
أهمية تطهير المساجد من كل دنس حسيٍّ ومعنوي ٢٢
لا يجتمع في الإسلام مسجد وقبر ٢٣
عاد النبي ﷺ لمكة بعد عشر سنوات فاتحًا لها وليطهرها من الشرك ٢٣
صلاة النبي ﷺ في الكعبة ٢٤
عفو النبي ﷺ عن قريش ٢٥
أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا ثم عاد للمدينة ٢٦
خوف الأنصار من عودة الرسول ﷺ لسكنى مكة، ورده عليهم ٢٦
حين دنا أجل النبي ﷺ تلطف في إخبار أصحابه بذلك رأفة بهم ٢٨
استئذان النبي ﷺ زوجاته أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنهن ٣٠

وصية النبي ﷺ بالأنصار ٣١
محبة النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ٣٢
كانت فاطمة رضي الله عنها تشبه الرسول ﷺ في مشيه وكلامه وحديثه ٣٢
فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء المؤمنين في الجنة ٣٣
من صور محبة النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها ٣٣
تحذير النبي ﷺ أمته من الغلو في الصالحين وهو في سياق الموت ٣٥
اتخاذ القبور مساجد ليس من شريعة الإسلام ٣٥
شدة الوجع على الرسول ﷺ ٣٥
قصد القبور للدعاء أو قراءة القرآن منكر ومن سائل الشرك ٣٥
من نعم الله على عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ توفي وهو مسند رأسه على صدرها ٣٧
معنى الرفيق الأعلى ٣٨
ثبات أبي بكر رضي الله عنه عند وفاة النبي ﷺ ٤٠
حنين الجذع إلى رسول الله ﷺ ٤١
الرُّسل عليهم السلام خلق من خلق الله كتب الله عليهم الموت ٤١
دين الإسلام قائم على إفراد الله جل جلاله بما يختص به ٤١
كان ﷺ يؤكد على التفريق بين مقام الألوهية ومقام النبوة خوفًا من الغلو ٤٢
من غسَّل النبي ﷺ؟ ٤٣
سبب دفن النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ٤٣
كان بيته ﷺ خراج المسجد ثم أدخل فيه في عهد الوليد بن عبد الملك ٤٤
عندما أدخل القبر في المسجد احتاطوا لذلك بأن بنوا جدارين من جهة ركني القبر وحرفوهما على شكل مثلث ٤٤
من رثاء حسان بن ثابت للنبي ﷺ ٤٥
محبة الصحابة للنبي ﷺ كما وصفها عروة بن الورد ٤٦

العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع ٤٦
تعريف التوسل، وأنواعه ٤٦
كراهة بعض أهل العلم تسمية المدينة بيثرب ٤٨
ذكر ابن حجر للمدينة عشرة أسماء، وذكر السمهودي لها أربعة وتسعين اسمًا ٥١
معنى حرمة المدينة ٥٢
حدود المدينة من جهاتها الأربع ٥٣
عظم بركة المدينة في أرزاقها ومآكلها وثمارها لدعوة النبي ﷺ لها بذلك ٥٦
الدجال لا يدخل المدينة ٥٨
معنى أن الإيمار يأرز إليها ٥٨
من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل ٥٩
من تصبَّح من تمرها بسبع لم يضره شيء ٥٩
لا تشد الرِّحال إلا لثلاثة مساجد ٦١
الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ٦٢
ليس لدخول المسجد النبوي ذكر مخصوص ٦٢
الصلاة في الروضة الشريفة أفضل من أي مكان في المسجد النبوي ٦٣
يستحب أن يكثر من الصلاة في الروضة الشريفة ٦٣
وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قبر النبي ﷺ بالمكرَّم ٦٣
الأصل أن يقصد المسلم بشد الرحل المسجد النبوي ويجوز أن ينوي بذلك زيارة المسجد والقبر ٦٤
نية زيارة القبر لوحده لا تجوز ٦٤
هناك فرق بين زيارة القبور وشد الرحال إلى زيارتها ٦٤
صفة زيارة قبر النبي ﷺ ٦٥
النبي ﷺ موقَّر حيًا وميتًا ٦٥
من مخالفات زيارة قبر النبي ﷺ ٧٦

لا يجوز الوقوف أمام القبر المكرم كهيئة المصلي ٦٨
دعاء الله عند القبر أو الظن أنه موطن إجابة محرم ولا يجوز ٦٩
إرسال السلام مع بعض الزوار من الأفعال الحادثة المبتدعة ٦٩
زيارة القبر المكرم كل يوم لم يكن من هدي السلف ٧٠
كان النبي ﷺ يخرج إلى البقيع ويسلم على أهلها ٧٢
بعض من دفن من الصحابة في مقبرة البقيع ٧٣
من أحكام القبور ٧٤
حماية المملكة العربية السعودية لجناب التوحيد ٧٨
زيارة النبي ﷺ وأصحابه لمقبرة الشهداء ٧٩
بعض من دفن في مقبرة الشهداء من الصحابة ٨٠
جواز الذهاب إلى ساحة معركة أحد وتذكر ما جرى فيها ٨٢
مسجد قباء أول مسجد أسس في الإسلام ٨٢
تخصيص النبي ﷺ زيارة مسجد قباء كل سبت ٨٢
ليس في المدينة مسجد يشرع زيارته تعبدًا إلا المسجد النبوي ومسجد قباء ... ٨٢
كان الإمام مالك يكره إتيان آثار النبي ﷺ في المدينة ما عدا قباء وأحد ٨٣
جماع الدين: ألا نعبد إلا الله، وبما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ ٨٤
ليس لأحد أن يعبد الله بما لم يشرعه رسول الله ﷺ ٨٤
قال الشاطبي: البدع تحبط الأعمال ٨٤
البدعة: هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل ٨٥
حديث من: «عمل عملاً ليس عليه أمرنا» ميزان الأعمال الظاهرة ٨٥
حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ميزان الأعمال الباطنة ٨٥
صواب العمل يكون بشرطين ٨٦
متابعة الرسول ﷺ لا تكون إلا بموافقته في ستة أمور ٨٧
أول ما قدم النبي ﷺ المدينة نزل عند بني عمرو بن عوف ٩٠

أول من وسَّع المسجد النبوي هو رسول الله ﷺ ٩٠
توسعة الملك عبد العزيز للحرم النبوي ..... ٩٢ – ٩٥
حياة أهل الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد الملك عبد العزيز مأساة حقيقية ٩٢
نصَّ النظام الأساسي للحكم على عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي والاهتمام بهما ٩٣
من كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز يحفظه الله ٩٤
عمارة الدولة السعودية وفقها الله المسجد النبوي حسًّا ومعنًا ٩٥
الوصية بتقوى الله ﷻ ٩٧
تعريف التقوى وحقيقتها، وتعليق الإمام الذهبي على ذلك ٩٧
تعظيم المدينة من تعظيم رسول الله ﷺ ٩٩
محبة الرسول ﷺ وتوقيره وتعظيمه عبادة يتقرب بها إلى الله ٩٩
مقتضيات محبة الرسول ﷺ بالقلب واللسان والجوارح ٩٩
التأدب مع حديث النبي ﷺ ١٠١
أعظم صور تعظيم الرسول ﷺ اتباعه بما جاء به من توحيد الله ﷻ ١٠٢
المعنى الصحيح لتعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام ١٠٢
تعريف الغلو ١٠٢
توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية ١٠٣
معنى توحيد الأسماء والصفات ١٠٣
أهمية تعلم العلم الشرعي ١٠٣
معرفة حقوق الزوجة الأولاد ١٠٤
حقوق ولاة الأمر على الرعية ١٠٤
نهى الله ﷻ عن التفرق وأمر بالاجتماع والائتلاف ١٠٤
لا اجتماع إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة ١٠٥

لا بيعة إلا للإمام، وكل بيعة دونها فهي مناقضة لها ١٠٥
النصح لولي الأمر له شروط معتبرة عند أهل العلم ١٠٦
ما خرج أحد على ولي الأمر إلا تسبب بفتن عظيمة ١٠٦
الكلام على الولاة في المنابر والمجالس ووسائل التواصل الاجتماعي ليس من سبيل النصح الشرعي ١٠٦
حقوق آل بيت النبي ﷺ ١٠٧
محبة آل البيت فرض واجب نؤجر عليه ١٠٨
لا نعتقد عصمة أحد منهم، ولا نغالي فيهم ١٠٨
حبُّ الصحابة رضي الله عنهم إيمان، وبغضهم نفاق ١٠٩

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية ٧

مقدمة ٩

من مكَّة إلى المدينة ١٥

إلى الرفيق الأعلى ٢٨

أسماء المدينة ٤٨

المدينة حرام ٥٢

فضائل المدينة ٥٥

مشروعية شدِّ الرحال إلى المسجد النبوي ٦١

زيارة الأماكن التي لم يزرها النبي ﷺ ٨٤

تاريخ عمارة المسجد النبوي وتوسعاته ٩٠

عناية المملكة العربية السعودية بالمسجد النبوي ٩٣

وصايا عامَّة ٩٧

فهرس المصادر والمراجع ١١١

فهرس الفوائد ١١٩

فهرس الموضوعات ١٢٥

بتوفيق الله

تأليف
عبدالرحمن بن عبدالله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالمسجدين الشريفين

رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

موقع الرئاسة
www.pv.gov.sa

الرقم الموحد
1909

PVGOVSA